حاتم صادق

حكايات ومواقف من قلب التراث



حكايات ومواقف من قلب التراث

حاتم صادق

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية

دار دلتا للنشر



رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوى

الناشر

سليمان القلشى

مستشار النشر

أحمد سويلم

الطبعة الأولى

الكتاب : حكايات ومواقف من قلب التراث

المؤلف : حاتم صادق

تصنيف الكتاب : دراسة

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٥٢١ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 3 - 170 - 776 - 977 - 978

العنوان : ٧ شارع الموسيقار على إسماعيل الدقى

التليفون : ٣٣٣٧٨٣١٩ - ٣٣٣٨٧٠٣٩

email : elyoumnew@gamil.com

مقدمة

من السمات البارزة في كتب تراثنا العربي والإسلامي أنها في كثير من الأحيان تتمثل لقارئها ككتاب دراما من النوع المثير والمشوق..بحيث يشعر هذا القارئ بحالة من الامتزاج والتعايش مع كثير من الوقائع والشخوص..

وفي ذات الوقت الذي يكون فيه القارئ مشغولا ومهموما بحاضره وقضاياه ،فإنه يصادف على صفحات هذا التراث ما يلقي بضوئه على الراهن، بحيث يكون هناك تواصلا وربما تداخلا بين ما كان وما هو كائن حتى الآن..

واسمح لي عزيزي القارئ أن أقدم لك في تلك السطور

عشرة نماذج لما أقصد ، مختارات من التراث وضعت لها عناوين حديثة أو عصرية ، ومع ذلك لا تشعر بأي انفصال أو تنافر بين العنوان العصري وبين المادة المختارة من التراث القديم ، بل ربما تجد فيها إجابة شافية كافية حول السؤال المهم : كيف يتداخل التراث مع الواقع ؟

١- عن الأسئلة التافهة التي تتكرر على الفضائيات الدينية:

سأل رجل عمرو بن قيس عن حصاة المسجد يجدها الإنسان في خفّه أو ثوبه أو جبهته ؟!

فقال له : ارم بها ! فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد .

فقال عمرو بن قيس: دعها تصيح حتى ينشق حلقها.

قال الرجل : أولها حلق ؟ قال : فمن أين تصيح إذن .

٢- عن الشعب والسلطة (الناس على دين ملوكهم)

ذكر ابن الأثير في مؤ لفه (الكامل في التاريخ): »كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء واتخاذ المصانع (القصور) والضياع ، فكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء .. وكان سليمان بن عبد الملك صاحب طعام ونكاح ،فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الطعام والنكاح..وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الخبر: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن ؟وكم تصوم من الشهر؟

وهذا على نفس طريق مارواه الطبري من قبل ابن الأثير: أنه لما حمل الجند إلى الفاروق عمر سيف كسرى وجواهره بعد هزيمته أمام جيش المسلمين ، فإن أمير المؤمنين قال : إن قوما أدوا هذا لذووا أمانة ..فعقب علي بن أبي طالب موجها كلامه إلى عمر: «عففت فعفت الرعية ولو رتعت لرتعوا».

وعلي هو القائل أيضا في سياق ذات الفكرة «الناس بأمرائهم، أشبه منهم بآبائهم»..

وهناك أقوال كثيرة مأثورة عكست ذات الفكرة ،أشهرها قول عثمان بن عفان «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

٣- ثمن اشتغال المثقفين في خدمة السلطة:

يقول أبو حامد الغزالي في (إحياء علوم الدين): «لا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم، والتكثر بهم، والاستعانة بهم على أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالسهم، وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء، في حضورهم ومغيبهم. فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا، وبالتردد في الخدمة ثانيا، وبالثناء والدعاء ثالثا، وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعا، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا، وبالتستر على ظلمه ومقابحه ومساوي أعماله سابعا، لم يُنعم عليه بدرهم واحد، ولو كان في فضل الشافعي»!

٤- الحاكم ومعاونوه:

– كان عمر بن الخطاب يرجح الأقوى من الرجال على القوي، فقد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية. فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل. (تاريخ الطبري)

ومن أجمل ما أثر عن عمر في هذا المعنى قوله: « اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة».

- ويروى أنه قد قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من أهل الثغور له سن وعقل, فسأله عم :كيف حال عمالنا؟

فأجاب الرجل على الفور: يا أمير المؤمنين إذا طابت العين عذبت الأنهار.

٥ - مبدأ الطاعة المشروطة:

- في خطبة الاستخلاف التي دشن بها أبو بكر استلام السلطة بعد النبي (ص): «.... أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ،فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»

- وكذلك في خلافة علي بن أبي طالب مثالا رائعا للتطبيق المتبادل لمبدأ الطاعة المشروطة من الخليفة والناس ففي (نهج البلاغة) نطالع له هذا النص الذي يوضح مدى المسؤولية المشتركة بين الحاكم والمحكوم :

«ليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه،ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته (احتقرته) العيون بدون أن يعين على ذلك»

ونقرأ له أيضا :

«لا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ منه عند أهل البادرة ،ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ،فإن من استثقل الحق أن يقال له والعدل أن يعرض عليه ،كان العمل بهما أثقل عليه .فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست من نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي»

٦- نقد مبدأ الطاعة العمياء:

جاء في(سرح العيون) لابن نباته : «أن عبد الله بن معاوية من أحفاد أبي طالب وكان متمردا ، كان يقول لأهل خراسان منددا باتباعهم لأبي مسلم الخراساني القائد العسكري للدعوة العباسية: ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه في شئ وتسألوه عنه .والله ما رضيت الملائكة بهذا من الله حتى راجعته في أمر آدم فقالت «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»».

٧- الحاكم وقصور الإستراحة:

– بعث عمرو بن العاص إلى الفاروق بقوله: إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع، فكتب إليه عمر:

أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر!..

أي كيف يعقل أن أكون مقيما في الحجاز وأتخذ لي استراحة في مصر.

وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين.

٨- تشجيع الناس على نقد الحكام بل وقتلهم :

في تاريـخ عمـر بـن الخطـاب لابـن الجـوزي ،كان عمـر يقـول «رحـم اللّه امـرءا أهـدى إلينـا عيوبنـا»..

وفي تاريخ الطبري : قال عمر بن الخطاب:

لـن يعجـز النـاس أن يولـوا رجـلا منهـم فـان اسـتقام اتبعـوه وإن جنـف (انحـرف) قتلـوه.

فاعترض عليه احدهم قائلا: ما عليك لو قلت عزلوه؟

فقال عمر: لا، القتل أنكل لمن بعده.. أي أشد ردعا .

٩- مقاطعة السلطة:

– يقـول سـفيان الثـوري «في جهنـم وادي لا يسـكنه إلا القـراء الـزوارون للملـوك»

– رد أحـد القضـاة شـهادة رجـل لأنـه حضـر مائـدة السـلطان.. فقـال الرجـل :كنـت مكرهـا.. فـرد القاضـي :رأيتـك تقصـد الأطيـب وتكـبر اللقمـة.

– وحكــي أنــه دنــا ســقاء مــن فقيــه واقــف ببــاب احــد السـلاطين، فسـأله عـن مسـألة، فقـال الفقيـه :أهـذا موضع السـؤال؟ فـرد السـقاء بعبقرية: أوَهـذا موضـع الفقيـه؟!

- ومن ديوان الإمام الشافعي :

إن الملوك بــلاء حيثما حـلوا
فــلا يكــن لك في أبوابهم ظل
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا
جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستعنِ بالله عن أبوابهم كرما
إن الوقــوف على أبـوابـهم ذل

١٠- الظلمة وأعوانهم:

- جـاء في (تنبيـه المغتريـن) للشعراني أن سفيان الثـوري قـال: «مـن تبسـم في وجـه ظـالم أو أخـذ مـن عطائـه فقـد نقـض عـرى الإسـلام وكتـب مـن جملـة أعـوان الظلمـة».

-وفي إحيـاء علـوم الديـن للغزالـي : سـأل عسـكري فقيهـا عـن الطريـق فسـكت الفقيـه وتصامـم .. والسـبب هـو خوفـه مـن أن يكـون متوجهـا إلى ارتـكاب ظلـم فيكـون بإرشـاده إلى الطريـق معينـا لـه علـى الظلـم.

- وحكـوا عـن الإمـام أحمـد أنـه حـين سجن وعـذب فيمـا سمـي بمحنـة القـول بخلـق القـرآن سـأله سجانه عـن الأحاديـث الـتي وردت في وعيـد أعـوان الظلمـة، فقـال: هـي صحيحـة.

فقال السجان: وهل تراني من أعوان الظلمة؟

قـال الإمـام: لا. أعـوان الظلمـة مـن يخيـط لهـم الثيـاب،أو يطهـو لهـم الطعـام، أو يقضـي لهـم الحاجـات، أمـا أنـت فمـن الظلمـة أنفسـهم.

– كان أحد الولاة يزور الإمام مالك بن انس في بيته ويسأله النصيحة..فأثنى بعض الحاضرين على ذلك الوالي ..فغضب مالك – وكان بعيد الغضب – وصاح في الوالي «إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك..فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك..أنت أعرف بنفسك منهم».

وإضافة إلى تلك القراءة للتراث التي تربط الماضي بالحاضر والقديم بالمعاصر ، يمكن للباحث المتخصص أو القارئ المحترف أن يقرأ في التراث أو يكتب لينتقد أو لينقض واقعة ما أو فكرة ما ، أو ليثير إشكالية أو يعيد النظر في مسألة كان مسلما بصحتها ثم بانت أمارات وشواهد أخرى لتؤكد أنها أبعد ما تكون عن الصحة والصواب.

وكل ما سبق وإن كان يندرج تحت بند (الضروري) والمطلوب، خاصة إذا كنا ننشد لأمتنا نهضة وتقدما يقومان على احترام العقل و المنطق بالقدر الذي تعتز فيه بتراثها.

إلا أن هذا ليس وحده هو ما يمكن أن نتعامل به مع التراث..

فتراثنا أيضا ملئ بالصفحات التي يمكن أن نحصل من خلالها على حقائق موثقة ، ومعلومات مفيدة ، أو قصص ونوادر طريفة. بحيث تستطيع أن تقول أن بقدر ما فيه ما هو متعب ومحير للعقل، ففيه الكثير أيضا مما يمثل متعة للعقل وتنشيطا للفكر وإثارة للوجدان .

ومن هذا النوع الأخير، وفي هذا الكتاب الذي بين يديك نحاول تقديم نماذج من تراثنا، نرجو أن تصادف منك القبول وتحقق لك قدرا من التسلية والمتعة التي تضيف للعقل وتسعد القلب و الروح.

تلك النماذج هي في الحقيقة خلاصة قراءات كثيرة ومتنوعة عبر رحلة طويلة وممتدة في عشق وغواية التراث .. هي منتخبات ومختارات من كتب التاريخ ، وفي مقدمتها (تاريخ الأمم والملوك) للطبري ، و(الكامل في التاريخ) لإبن الأثير، و (البداية والنهاية) لإبن كثير ، و(تاريخ دمشق) لإبن عساكر.

و أيضا هي – في أغلبها – اختيارات من تلك الكتب ذات الطبيعة الموسوعية التي سادت في الأدب والتراث العربي ، مثل (العقد الفريد) لإبن عبدربه، (المستطرف من كل فن مستظرف) للإبشيهي ، و(عيون الأخبار) لإبن قتيبة ، و (الكشكول) لبهاء الدين العاملي ، و(نَكت الهميان في نُكت العميان) للصفدي، و(زهر الآداب) لأبي إسحاق القيرواني ،(أخبار الأذكياء) ، و(أخبار الحمقى والمغفلين) ، وأخبار الظراف والمتماجنين) وهؤلاء الثلاثة لإبن الجوزي ، و (البيان والتبيين) و (البخلاء) وكلاهما للجاحظ .

يتبقى في النهاية عزيزي القارئ أن أترك اختياراتي الشخصية بين يديك ، وإني أظنها تتحدث بنفسها عن نفسها ، داعيا وراجيا أن تلقى منك القبول الحسن ، فربما تجد فيها شيئا موحيا أو ملهما أو على الأقل مشوقا ، وربما تجد فيها ما لم أجد ، فكلنا في النهاية مجرد قراء.

حاتم صادق

باب روائع الأجوبة

(١)

سأل رجل علياً رضي الله عنه : ما بال المسلمين اختلفوا عليك ، ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر ؟ فقال : لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي ، وأنا اليوم والٍ على مثلك.

(٢)

كان رجل مسن منحني الظهر يسير في الطريق

قال شاب بسخرية : بكم القوس يا عم ؟

قال : إن أطال الله بعمرك سيأتيك بلا ثمن .

(٣)

– كتب الخليفة المنصور إلى جعفر الصادق في إحدى المرّات: لِم لا تغشانا كما تغشانا الناس ؟

فأجابه الإمام : (لَيس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنيك ، ولا تَراها نقمة فنعزيك ، فما نصنع عندك ؟!) .

فكتب المنصور إليه: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه جعفر: (من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك) .

فقـال المنصـور: واللّه لقـد ميـز عنـدي منـازل مـن يريـد الدنيـا ممـن يريـد الآخـرة ، وإنـه ممـن يريـد الآخـرة لا الدنيـا .

(٤)

خـرج المهلـب بـن أبـى صفـره يومـا مـع ابنـه فمـرا علـى عجـوز فذبحـت لهمـا عنـزا.. فقـال المهلـب لابنـه :كـم معـك مـن النفقـة؟

فقـال الابن: مائـة دينـار ، قـال الملهـب :ادفعهـا لهـا. فلمـا ذهبـا قـال الابـن لأبيه: إنهـا كانـت ترضـى باليسـير، فقـال المهلـب: إن كانـت يرضيهـا اليسـير فأنـا لا يرضيـني إلا الكثـير وان كانـت لا تعرفـني فأنـا أعـرف نفسـي.

(٥)

أقبـل جحـا علـى قريـة فـرد عليـه أحـد أفرادهـا قائـلاً: لم أعرفـك يـا جحـا إلا بحمـارك .

فقال جحا: الحمير تعرف بعضها!

(٦)

جـاء رجـل إلى الشـعبي، وقـال: إنـي تزوجـت امـرأة فوجدتهـا عرجـاء..!! فهـل لـي أن أردهـا ؟!

فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها فردّها.

(٧)

قال مروان بن الحكم، للحسن بن علي بين يدي معاوية:

أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن! ويقال إنّ ذلك من الخَرَق.

فقال الحسن :

ليس كما بلغك، ولكنا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا، عذبة شفاهنا، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن، وأنتم معشر بني أمية، فيكم بَخْرٌ (الرَّائحةُ الكريهةُ من الفم) شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن إلى أصداغكم، فإنما يشيب منكم موضع العِذار (جانب اللحية) من أجل ذلك.

(٨)

قال مروان بن الحكم للحسن بن علي : أما إن فيكم يا بني هاشمٍ خصلة سوء.

قال الحسن : وما هي؟

قال مروان: الغُلْمَة (شدة الشهوة الجنسية) .

قال الحسن (عليه السلام): أجل نزعت من نسائنا، ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلمة من رجالكم، ووضعت في نسائكم، فما قام لأموية إلا هاشمي .

(٩)

دخـل أحـد الخـوارج واسمـه الضحـاك الشـاري علـى أبـي حنيفـة وقـال :

يا أبا حنيفة تُب . قال: اللهم اجعلني من التوابين .. مم أتوب ؟

قال :من قولك بجواز التحكيم الذي جرى بين علي ومعاوية

فقـال أبـو حنيفـة : ألا تقبـل أن تناظرنـي في هـذا الأمـر ؟وتقبـل بـأن يكـون صاحبـك هـذا هـو الحكـم بيننـا

فتهلل الضحاك وفرح وقال: نعم أقبل

فـرد أبـو حنيفـة : أتقبـل أن تحكـم رجـلا بيننـا إذا اختلفنـا وتنكـره علـى اثنـين مـن أصحـاب محمـد ؟ فانصرف عنـه وتركـه.

(١٠)

سـأل رجـل صاحبـه وهـو يتأمـل القصـور: أيـن نحـن حـين قسـمت هـذه الأمـوال؟ فأخـذه صاحبـه إلى المستشـفى وقـال لـه: وأيـن نحـن حـين قسـمت هـذه الأمـراض؟

(١١)

قـال الأسـود بـن سـالم: ركعتـين أصليهمـا أحـب إلـيَّ مـن الجنـة بمـا فيهـا ! ! فقيـل لـه: هـذا خطـأ . فقـال : دعونـا مـن كلامكـم, الجنـة رضـا نفسـي، والركعتـان رضـا ربـي , و رضـا ربـي أحـب إلـي مـن رضـا نفسـي .

(١٢)

قيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو ربك؟ فقال : نعم ، قيل : فادع، فقال: اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

(١٣)

دخل مالك بن دينار على حاكم البصرة، فقال الحاكم؟ أدع اللّه لي، فقال مالك: ماينفعك دعائي وعلى بابك المئات يدعون عليك.

(١٤)

سئل حكيم: كم عمرك؟ قال صحتي جيدة والحمد للّه. وسئل: كم ادخرت من مال؟ قال: ليس علي ديون والحمد للّه، ثم سئل أخيرا: كم عدو لك؟ فقال: قلبي نظيف ولساني عفيف .

(١٥)

قال عقبة بن علقمة : دخلت عَلَى علىّ رضي اللّه عنه فإذا بين يديه طعام خشن فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأكل مثل هذا فقال : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا فإن لم آخذ نفسى بما أخذ به نفسه خفت ألا ألحق به .

(١٦)

قال الجاحظ: رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادي عليها وعلى خدّها خال, فدعوت بها وقلت لها: ما اسمك؟

قالت: مكة.

فقلت: الله أكبر! قرب الحج، أتأذنين أن أقبّل الحجر الأسود؟

قالت: إليك عني، ألم تسمع قول الله تعالى: «لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس».

(١٧)

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر فقال: ما هذا الذي بيدك؟ فقال: بعض ما تُسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه.

(١٨)

كان لأبي الأسود الدؤلي جيران يؤذونه ويرمون عليه الحجارة ليلاً، فقالوا له في الصباح: إنما يرجمك الله. فيقول: كذبتم لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجموننى ولا يصيبني. ثم باع داره فقيل له: بعت الدار؟ فقال: بل بعت جاري. فذهبت مثلاً.

(١٩)

كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم فعبث أحدهم بزوجته وأرسلها وكان للحرث كلب قد رباه فخرج الحرث في بعض منتزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل وجاء إلى زوجته فأقام عندها فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث نظر إليهما فعرف القصة وترك من كان يعاشره واتخذ

كلبـه نديمـاً فتحـدث بـه العـرب فأنشـأ يقـول:

فللكلب خير من خليل يخونني   وينكح عرسـي بعد وقت رحيلي

سـأجعل كلبي ما حييت منادمي   وأمنـــحه ودي وصـــفو خليلي

(٢٠)

جلـس أبـو جعفـر المنصور فتسـاقط عليه الذبـاب، وكان كلما طارده ألح عليـه حتـى ضجـر؛ فدخـل عليه أبو الحسـن مقاتل بن سـليمان، ولـه شـهرة واسـعة في التفسـير. فقـال لـه أبـو جعفـر المنصـور: يـا أبـا الحسـن أتعلـم لمـاذا خلـق اللّه تعـالى الذبـاب ؟ فقـال أبـو الحسـن: نعـم يـا أمـير المؤمـنين، ليـذل اللّه عـز وجـل بـه الجبابـرة، فسـكت.

(٢١)

مـاتَ أحـدُ المجـوسِ وكان عليـه ديـنٌ كثـير، فقـال بعـض غرمائه لولـده : لَـو بِعـتَ دار أَبيـك ووَفَّيـتَ بهـا دَينَـه. فقـال الولـد: إذا أنـا بِعـتُ الـدار و قَضيـتُ بهـا عَـن أبـي دَينَـه فَهَـلْ يَدخُـلُ الجَنَّـة ؟ فقالـوا : لا. قـال الولـد : فَدَعـهُ في النـار وأنـا في الـدار !

(٢٢)

قـال العُتـبي: قلـت لرجـل مـن أهـل الباديـة: يـا أخـي ! إنـي لأعجـب مـن أن فقهائكـم أظـرف مـن فقهائنـا؛ وعوامّكـم أظـرف مـن عوامّنـا؛ ومجانينكـم أظـرف مـن مجانيننـا. قـال: ومـا تـدري لمَ ذاك؟ قلـت: لا؛ قـال: مـن الجـوع؛ ألا تـرى أن العـود إنمـا صفـا صوتـه لخلـو جوفـه ! .

(٢٣)

قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما:

فيك عظمة .

قال: لا بل فيّ عزة .

(٢٤)

قـال معاويـة لجاريـة بـن قدامـه: مـا كان أهونـك علـى أهلـك إذ سمـوك جاريـة! قـال: مـا كان أهونـك علـى أهلـك إذ سمـوك معاويـة! وهـي الأنثـى مـن الـكلاب.

قـال: لا أم لـك! قـال: أمـي ولدتـني للسـيوف الـتي لقينـاك بهـا في أيدينا.

قـال: إنـك لتهددنـي؟ قـال: إنـك لم تفتحنـا قسـرا ولم تملكنـا عنـوة، ولكنـك أعطيتنـا عهـدا وميثاقـا وأعطينـاك سمعـا وطاعـة، فإن وفيـت لنـا وفينـا لـك، وإن فزعـت إلى غـير ذلـك فإنـا تركنـا وراءنـا رجـالا شـدادا وألسـنة حـدادا.

(٢٥)

تربـع سـليمان بـن الشـمردل في مجلـس بـلال بـن أبـي بـردة فقـال لـه لقـد جلسـت جلـوس بغـي قـال إنـك لعـالم بجلوسـهن !

(٢٦)

أتـي أعرابـي بفالـوذج (حلـواء تصنـع مـن الدقيـق والعسـل) فقيـل لـه: هـل تعـرف هـذا؟ فقـال: هـذا - وحياتـك - الصـراط المستقيم!

(٢٧)

ادَّعـى رَجـل النبـوة فـى زمـن المأمـونِ فلمـا مَثُـلَ بَـينَ يَديـهِ قَـال لَـه : مَـن أنـت ؟ قـال : أنـا أحمـد النَبـى ؟ قـال : لقـد ادّعَيـتَ زورا ، فلمـا رأى الحُـرّاسَ قَـد أحاطَـت بِـه وهـو ذاهِـب معهـم قـال : يـا أميرَ المؤمنـين : أنـا أحمَـدُ النَبـيَّ فَهَـلْ تَذُمُّـهُ أنـتَ ولا تَحمِـدُه؟! فَضَحِـكَ المأمـونُ مِنـهُ وخَلَّـى سَـبيلَهُ.

(٢٨)

دَخَـلَ أعرابـيٌ علـى المأمـون وقـال لَـه : يـا أمـيرَ المؤمنـين، أنـا رَجُـلٌ مِـن الأعـراب. قـال : ولا عَجَـبَ في ذلـك .فقـال الأعرابـي : إنّـي أُريـدُ الحَـجَّ. قـال المأمـون : الطريـقُ واسِـعةٌ. قـال: لَيـسَ مَعـي نَفَقَـة. قـال المأمـون: سَـقَطَ عَنـكَ الحـج. قـال الأعرابـي : أيهـا الأمير جِئتُـكَ مُسـتَجدِياً لا مُسـتَفتيا. فَضَحِـكَ المأمـونُ وأمـرَ لَـهُ بِصلـة .

(٢٩)

دخـل الشـاعر الكبـير أبـو تمـام علـى الخليفـة المتـوكل ومدحـه بقصيـدة جميلـة .. وكان مـن بـين الجالسـين مـع الخليفـة الفيلسـوف المشـهور أبـو يعقـوب الكنـدي.. وكان يحقـد علـى أبـي تمـام ، وأراد أن يحـط شـانه ويسـيء إلى شـعره .. فقـال لأبـي تمـام: «لم تقـول مـا لا يُفهـم» ؟؟

فقال له أبو تمام على الفور وسط إعجاب الحاضرين: «ولم لا تفهم ما يقال»؟!

(٣٠)

لما دخل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة البصرة قال: هممت أن أؤدب من خالف أبا حنيفة في مسألة. فقال له قائل: وهل كان أبو حنيفة يؤدب من خالفه؟ قال: لا. فقيل له: فأدب نفسك أولاً, فقد خالفته.

(٣١)

قال معاوية يوما: أيها الناس إن الله حبا قريشا بثلاث، فقال لنبيه الكريم: (وأنذر عشيرتك الأقربين) ونحن عشيرته الأقربون. وقال تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) ونحن قومه. وقال تعالى: (لإيلاف قريش إيلافهم) ونحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية فإن الله تعالى يقول (وكذب به قومك وهو الحق) وأنتم قومه. وقال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون). وأنتم قومه. وقال تعالى: (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)، وأنتم قومه.. ثلاثة بثلاثة يا معاوية ولو زدت لزدناك.

(٣٢)

سُئل العباس أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

(٣٣)

وجـد الحجـاج مكتوبـا علـى منـبره: «قـل تمتـع بكفـرك قليـلا إنـك مـن أصحـاب النـار» ، فلـم يمسـحه بـل كتـب تحتـه: «قـل موتـوا بغيظكـم إن الله عليـم بـذات الصـدور» .

(٣٤)

ادعـى رجـل النبـوة أيـام المتـوكل ، فقـال لـه المتـوكل مـا معجزتـك، فقـال اعطونـي امـرأة انكحهـا فتلـد في الحـال !

فقال المتوكل لوزيـره الحسـن بـن عيسـى : أعطـه زوجتـك نـرى كذبـه مـن صدقـه ، فقـال الحسـن يـا أمـير المؤمنـين اشـهد انـه نـبي وإنمـا يعطـي زوجتـه مـن لا يؤمـن بـه ، فضحـك المتـوكل حتـى هـوى مـن علـى كرسـيه !

(٣٥)

روي أن رجـلاً جـاء إلى حاجـب معاويـة فقـال لـه قـل لـه علـى البـاب أخـوك لأبيـك وأمـك ، فقـال لـه ما أعرف هـذا ثم قـال: ائذن لـه، فدخـل فقـال لـه أي الأخـوة أنـت فقال: ابـن آدم وحـواء، فقال :يـا غـلام أعطـه درهمـا فقـال: تعطـى أخـاك لأبيـك وأمـك درهمـا، فقـال: لـو أعطيـت كل أخ لـي مـن آدم وحـواء مـا بلـغ إليـك هـذا.

(٣٦)

تظلـم أهـل الكوفـة مـن عاملهـا إلى المأمـون فقـال: مـا علمـت في عمالـي أعـدل منـه، فقـال رجـل مـن القوم:يـا أمـير المؤمنـين لقـد

لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر، فأما نحن فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين. فضحك المأمون وأمر بصرفه.

(٣٧)

رمى رجل عصفوراً فأخطأه، فقال له رجل: أحسنت، فغضب وقال: أتهزأ بي ؟ قال: لا، ولكن أحسنت إلى العصفور.

(٣٨)

قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا، فقال الآخر: أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

(٣٩)

قال يموت بن المزارع: قال لي سهل بن صدقة يوماً وكانت بيننا مداعبة: ضربك الله باسمك، فقلت له مسرعاً: أحوجك الله إلى اسم أبيك.

(٤٠)

دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره، ثم قال له:

في أبصاركم أنتم معشر بني هاشم تصابون

فقال له عقيل:

وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم .

(٤١)

يحكـي أن عيسـى بـن مريـم عليـه الصـلاة والسـلام مرعلـى حـواء يطـارد حيـة ليأخذهـا فقالـت الحيـة: يـا روح الله قـل لـه: لئـن لم يلتفـت عـني لأضربنـه ضربـاً أقطعـه قطعـاً ،فمـر عيسـى عليـه السـلام ثـم عـاد وإذا الحيـة في سـلته فقـال لهـا عيسـى ألسـت القائلـة كـذا وكـذا فكيـف صـرت معـه؟ فقالـت يـا روح الله إنـه حلـف لـي فلئـن غدرنـي فسـم غـدره أضـر عليـه مـن سمـي .

(٤٢)

وحُكـي أن أسـداً وذئبـاً وثعلبـاً اصطحبـوا فخرجـوا يتصيـدون فصـادوا حمـاراً وظبيـاً وأرنبـاً، فقـال الأسـد للذئـب: أقسـم بيننـا صيدنـا قـال الذئـب : الأمـر واضـح، الحمـار لـك والأرنـب للثعلـب والظـبي لـي ،فخبطـه الأسـد فأطـار رأسـه ثـم أقبـل علـى الثعلـب وقـال :قاتلـه الله مـا أجهلـه بالقسـمة ثـم قـال :هـات أنـت ، قـال الثعلـب: يـا أبـا الحـارث الأمـر أوضـح مـن ذلـك الحمـار لغذائـك والظـبي لعشـائك وتخلـل بالأرنـب فيمـا بـين ذلك قال الأسـد: ويحك مـا أقضـاك مـن علمـك هذه القضيـة قـال: رأس الذئب الطائـر هناك .

(٤٣)

أراد رجل إحراج المتنبي فقال لـه

: رأيتك من بعيد فـظننتك امرأة

فقال المتنبي : وأنا رأيتك من بعيد فظننتك رجل .

(٤٤)

رأت الضبـع ظبيـة علـى حمـار فقالـت أردفيـني فأردفتهـا، فقالـت: مـا أفـره حمـارك ثـم سـارت يسـيراً فقالـت :مـا أفـره حمارنـا، فقالـت الظبيـة انزلـي قبـل أن تقولـي مـا أفـره حمـاري.

(٤٥)

قـال محمـد بـن إبراهيـم الإمـام لسـعيد الدارمـي: لَـو صَلُحَـتْ عليـكَ ثيابـي لخلعتهـا عليـك!

قـال: فديتـك، إن لم تصلـح علـي ثيابـك ، صلحـتْ عَلـيَّ دنانـيرك!

(٤٦)

روي أن رجـلا خطـب إلى قـوم فقالـوا: مـا صناعتـك؟ قـال: أبيـع الـدواب فزوجـوه ،ثـم سـألوا عنـه فـإذا هـو يبيـع القطـط، فخاصمـوه إلى القاضـي شـريح فقـال: القطـط دواب وأنفـذ تزويجـه.

(٤٧)

قـال الأصمعـي سـألت أعرابيـة عـن ولدهـا و كنـت أعرفـه ، فقالـت : مـات،واللّه قـد آمنـني اللّه بفقـده المصائـب ثـم قالـت:

وكنت أخاف الدهر ما كان باقياً فلما تولى مات خوفي من الدهر

(٤٨)

مـرض رجـل مـن أهـل النحـو ، كان مولعـا باللغـة والسـجع ، فعـاده جـاره في مرضـه وسـأله مـا بـكَ ؟

فقـال النحـوي : حمـى جاسـية (شـديدة) ، نارهـا حاميـة ، منهـا الأعضـاء واهيـة ، والعظـام باليـة !

فقال له جاره وكان أمياً : ليتها كانت القاضية .

(٤٩)

قيل للشعبي: هل تمرض الروح؟

قال : نعم من ظل الثقلاء.

(٥٠)

سـأل رجـل يحـي بـن معـاذ الأنصـاري .. قـال الرجـل : يـا يحيـى أخبرنـي عـن الله ؟ فقـال : هـو إلـه واحـد . فقـال الرجـل : كيـف هـو ؟ قـال : ملـك قـادر . فقـال الرجـل : فأيـن هـو ؟ قـال : هـو بالمرصـاد . فقـال الرجـل : مـا سـألت عـن هـذا ! قـال يحيـى: مـا كان غـير هـذا .

(٥١)

ظفـر الحجـاج بأحـد الخـوارج فقـال: اضربوا عنـق ابـن الفاجرة .

فقـال : بئـس مـا أدبـك بـه أهلـك يـا حجـاج ، كيـف أمِنْـتَ أن أجيبـك بمثـل مـا لقيتـني بـه ؟ أبعـد المـوت منزلـة أصانعـك عليهـا ؟

فسكت الحجاج حياء ثم عفا عنه .

(٥٢)

سأل نبي الله سليمان البومة قائلا : أيتها البومة لماذا لا تشربين الماء؟

ومن المعروف أن البومة لا تشرب الماء طول حياتها

فردت البومة قائلة: لأن الله اهلك قوم نوحا بالماء.

فسألها : ولماذا لا تأكلين الزرع ؟

ومن المعروف أيضا أنها لا تأكل الزرع طول حياتها

فردت قائلة : لأن ادم أُخرج من الجنة عندما أكل من الشجرة

فسألها ثالثة : ولماذا تسكنين القبور ؟

فردت قائلة : لأني آري فيها عظمه الله .

(٥٣)

حكي أن ابن الجوزي كان واقفا على المنبر و في المجلس قوم من السنة و قوم من الشيعة، فسئل: أيهما أفضل، أبو بكر أم علي؟

فأجاب: من كانت ابنته تحته . أي من تزوج ابنته .

وكما هو واضح من الإجابة، فإن ابن الجوزي الذكي قد خشي الفتنة في المجلس، خاصة وأن التعصب كان شديدا في ذلك الوقت بين أهل السنة وأهل الشيعة ، فأجاب بجواب يحتمل الأمرين.

فالنبي صلى الله عليه و سلم قد تزوج بعائشة، فيكون أبو بكر هو الأفضل.و علي رضي الله عنه قد تزوج بفاطمة، فيكون علي هو الأفضل.

(٥٤)

كان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

باب حسن الدعاء

(٥٥)

روى الطبراني في (المعجم الأوسط) ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأعرابي، وهو يدعو في صلاته، ويقول: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره، ولا جبل إلا يعلم ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوماً ألقاك فيه. فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابي رجلا، فقال: إذا فرغ من صلاته فأتني به فلما قضى صلاته أتاه به، وقد كان أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن، فلما أتى الأعرابي وهب له الذهب، وقال: «ممن أنت يا أعرابي»؟ قال: من بني عامر بن صعصعة، فقال: «هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب». قال: للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله. قال صلى الله عليه وسلم: «إن للرحم حقاً ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل».

(٥٦)

دخل النبي (ص) عَلى أعرابي قد صار مثل الفَرْخ ، فقال : هل كنت تدعو الله بشيء ؟ قال : كنت أقول : اللهم ما كنت مُعَاقِبي به في الآخرة فَعَجِّلْه لي في الدنيا ، فقال : سبحان الله

إنـك لا تَسـتطيعه ، أو لا تُطيقـه . هـلاّ قُلـت : اللهـم آتنـا في الدنيـا حسـنة وفي الآخـرة حسـنة وقنـا عـذاب النـار.

(٥٧)

سمع علي بن الحسين رجلا يدعو : اللهم اغنني عن خلقك

..فقـال لـه : ليـس هكـذا ، إنمـا النـاس بالنـاس .ولكـن قـل اللهـم اغنـني عـن شـرار خلقـك .

(٥٨)

كان عطـاء الحسـن بـن علـي رضـي الله عنـه كل سـنة مائـة الـف، فحبسـها معاويـة في بعـض السـنين فحصلـت لـه ضائقـة شـديدة , قـال فدعـوت بـدواة لأكتـب لمعاويـة لأذكـره بنفسـي ,ثـم أمسـكت فرأيـت رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم في المنـام ,فقـال كيـف انـت يـا حسـن ؟ فقلـت بخـير يـا أبت,وشـكوت إليـه تأخـر المـال عـني ,فقـال أدعـوت بـدواة لتكتـب إلى مخلـوق مثلـك تذكـره؟

فقلـت نعـم يـا رسـول الله ,فكيـف اصنـع ؟فقـال قـل اللهـم اقـذف في قلـبي رجـاءك واقطـع رجائـي عمـن سـواك حتـى لا أرجـو أحـدا غيرك, اللهـم ومـا ضعفـت عنـه قوتـي ,وقصر عنـه علمـي ,ولم تنتـه إليـه رغبـتي ,ولم تبلغـه مسـألتي ,ولم يجـر علـى لسـاني ,ممـا أعطيـت أحـدا مـن الأولـين والآخريـن مـن اليقـين ,فخصـني بـه يـا ارحـم الراحمـين .

قـال فـوالله مـا ألححـت بـه أسـبوعا حتـى بعـث إلـي معاويـة بألـف وخمـس مائـة , فقلـت الحمـد لله الـذي لا ينسـى مـن ذكـره

ولا يغيب من دعاه ,فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ,فقال يا حسن كيف أنت؟

فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال : يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرجو المخلوق.

(٥٩)

من صلوات القطب الصوفي الكبير إبراهيم الدسوقي :

اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية

شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار

ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال

اللهم بسره لديك وبسيره إليك

أمن خوفي وأقل عثرتي واذهب حزني وحرصي

وكن لي وخذني إليك منى وارزقني الفناء عني

ولا تجعلني مفتونا بنفسي محجوبا بحسي

واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم.

(٦٠)

قال سفيان بن عيينة رحمه الله:

لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله أجاب دعاء شر الخلق إبليس – لعنه الله– إذ قال: «رب فأنظرني إلى

يـوم يبعثـون . قـال فإنـك مـن المنظريـن. إلى يـوم الوقـت المعلـوم»

(٦١)

قـال الأصمعـي: أصابـت الأعـرابَ مجاعـة، فمـررتُ برجـل منهـم قاعـد مـع زوجتـه بقارعـة الطريـق، وهـو يقـول:

يـا ربّ إنــي قاعـدٌ كمـا تــرى -- وزوجـتي قاعـدة كمـا تــرى

والبطـنُ مـني جائـعٌ كمـا تــرى -- فمـا تـرى يـا ربنـا فيمـا ترى؟

(٦٢)

كان عمـر بـن عبـد العزيـز يدعـو ربه قائـلا: اللهـم إن لم أكن أهلاً أن أبلـغ رحمتـك، فـإن رحمتـك أهـل أن تبلغـني، رحمتـك وسـعت كل شـيء، وأنـا شـيء، فلتسـعني رحمتـك يـا أرحـم الراحمـين.

(٦٣)

عـن ابـن المبـارك قـال سـألت سـفيان الثـوري عـن الرجـل يصلـي أي شـيء ينـوي بصلاتـه ؟

قال: ينوي أن يناجي ربه .

باب الحمق

(٦٤)

نشـزت علـى الأعمـش امرأتُـه، وكان يأتيـه رجـل يقـال لـه: أبـو البـلاد.. مكفـوف، فصيـح، يتكلـم بالإعـراب، يتطلـب الحديـث منـه، فقـال لـه: يـا أبـا البـلاد إن امرأتـي قـد نشـزت علـيّ وضيّعت بيـتي وغمّتـني، فأنـا أحـب أن تدخـل عليهـا فتخبرهـا بمكانـي مـن النـاس وموضعـي عندهـم، فدخـل عليهـا فقـال: يـا هنيـاه، إن الله قـد أحسـن قسـمك.. هـذا شـيخنا وسـيدنا، وعنـه نأخـذ أصـل ديننـا وحلالنـا وحرامنـا.. لا يغرنـك عموشـة عينيـه، ولا خموشـة سـاقيه، فغضـب الأعمـش، وقـال: يا أعمى.. يـا خبيث.. أعمـى الله قلبك!! قـد أخبرتهـا بعيوبـي كلهـا.. اخـرج مـن بيـتي، فأخرجـه مـن بيته.

(٦٥)

كانـت زينـب بنـت يوسـف بـن الحكـم بـن أبـي عقيـل أخـت الحجـاج بـن يوسـف لأبيـه وأمهـا الفارعـة بنـت همـام بـن عـروة بـن مسعودٍ الثّقفـي عنـد المغـيرة بـن شـعبة فرآهـا يومـاً تتخلّـل بكـرةً فقـال لهـا أنـت طالـقٌ والله لئـن كان هـذا مـن غـذاءٍ لقـد جشـعت ونهمـت، وإن كان مـن عشـاء لقـد أنتنـت وقـذرت، فقالـت قبّـح الله الـذواق والمطـلاق ، والله مـا هـو الـذي ظننـت، ولكنّـه استمسـك بـين أسـناني شـظية مـن السـواك.

(٦٦)

اتُّهِـمَ أحـدُ اللُغويـين بِأَنـه يَقلـبِ القـافَ غينـا والغـينَ قافـا. فسـأله بعضهـم عَـن صِحَّـةِ هـذا الادعـاء: أصحيـحٌ أنّـكَ تقلـب

الغـين قافـا والقـاف غينـا؟

فقال لهم :استقفر اللّه، مَن غال لكم ذلك؟

(٦٧)

وسـأل ثقيـل بشـار بـن بـرد قائـلا : مـا أعمـى اللّه رجـلا إلا عوضـه فبمـاذا عوضـك ؟ فقـال بشـار: بـأن لا أرى أمثالـك !

(٦٨)

قـال أبـو الطيـب اليزيـدي: أخـذ رجـل ادعـى النبـوة أيـام المهـدي فأدخـل عليـه فقـال لـه: أنـت نـبي قـال: نعـم. قـال: وإلى مـن بعثـت قـال: أو تركتمونـي أذهـب إلى أحـد، سـاعة بُعثـت وضعتمونـي في الحبـس. فضحـك منـه المهـدي وخلـى سـبيله.

(٦٩)

جـاء في (العقـد الفريـد) لإبـن عبدربـه : غـزا أعرابـي مـع النـبي صلّـى اللّه عليـه وسـلم، فقيـل لـه: مـا رأيـت مـع رسـول اللّه في غزاتـك هـذه؟

قـال: وضـع عنـا نصـف الصـلاة، وأرجـو في الغـزاة الأخـرى أن يضـع النصـف الباقـي!

(٧٠)

ضـاع لرجـل ولـد فناحـوا ولطمـوا عليـه وبقـوا علـى ذلـك أيامـا وصعـد أبـوه لغرفتـه فـرآه جالسـا في زاويـة مـن زواياهـا فقـال يـا بـني أنـت بالحيـاة ؟ أمـا تـرى مـا نحـن فيـه؟ قـال الولـد قـد

علمت ولكن هاهنا بيض وقد قعدت مثل الدجاجة عليه ولن أبرح حتى تطلع الكتاكيت منها. فرجع أبوه إلى أهله وقال لقد وجدت ابني حيا ولكن لا تقطعوا اللطم عليه.

(٧١)

كان لبعضهم ولد نحوي في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة اشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له : ندعو لك فلانا آخانا، قال : لا ان جاءني قتلني، فقالوا : نحن نوصيه فدعوه فلما دخل عليه قال : يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل الجنة وتفر من النار، يا أبت والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسلبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل ولوزج وافلوذج فصاح أبوه: غمضوني فقد سبق اللعين ملك الموت إلى قبض روحي.

(٧٢)

وقف نحوي على زجاج فقال: بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان ؟ فقال الزجاج: « مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ».

(٧٣)

روى أبو بكر الصولي عن إسحاق قال: كنا عند المعتصم فعرضت عليه جارية فقال: كيف ترونها فقال واحد من الحاضرين: امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها وقال الآخر: امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها وقال الثالث: امرأتي

طالـق وسـكت، فقـال المعتصـم: إن كان مـاذا ؟ فقـال: إذا كان لا شـيء فضحـك المعتصم حتـى اسـتلقى وقـال: ويحـك مـا حملـك علـى هـذا قـال: يـا سـيدي هـذان الأحمقـان طلقـا لعلـة وأنـا طلقـت بـلا علـة.

(٧٤)

هبـت يومـاً ريـح شـديدة فأقبـل النـاس يدعـون الله ويتوبـون فصـاح جحـا: يـا قـوم لا تعجلـوا بالتوبـة وإنمـا هـي زوبعـة وتسـكن.

باب حسن الفهم

(٧٥)

دخل رجل ملحد على الإمام أبى حنيفة النعمان وهو بين تلاميذه فسأله قائلا :

أولا: كيف اعبد الله ولا أراه؟

ثانيا: كيف ولماذا أحاسب على أشياء قد كتبها الله على وأنا مقهور عليها مسير فيها؟

ثالثا: كيف يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار ؟

فمد الإمام يده إلى قلة إلى جواره وضرب بها الملحد ضربة قوية تهتك لها إهاب جبهته وانفجر الدم دافقا من وجهه، فسأل الملحد نفسه بعد أن فكر مليا لو انه اعتدى على الإمام أو شاتمه لانقض عليه تلاميذ الإمام وقتلوه فاختار ان يشكوه للقاضي الذي استدعاه على الفور وسأله عن سبب اعتدائه على الرجل فأجابه أبو حنيفة :

لأن هذه الضربة فيها أجوبة الأسئلة الثلاثة:

فالأول : يشكو من الألم ولا يراه فلم لا يعبد الله وهو لا يراه؟

والثاني: عندما ضربته بالقلة كان مختارا فى أن يشتمني أو يضربني أو يشكوني للقاضي فعلم انه لو شتمني لضربه التلاميذ ولو ضربني قتلوه فاختار ان يشكوني للقاضي فهو مسير فى أشياء مخير فى أشياء أخرى.

والثالث: الإنسان مخلوق من صلصال كالفخار ولقد ضربته بالقلة التي ترجع أصولها إلى مادة أصل الإنسان ومثل ذلك يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار.

(٧٦)

قيل لأعرابي: أتعرف الزنا، قال: وكيف لا. قيل: فما هو- قال: مصّ الرّيقة، ولثم العشيقة، والأخذ من الحديث بنصيب. قيل: ما هكذا نعدّه فينا! قال: فما تعدّونه ؟ قيل: النّقّ الشديد، وأن تجمع بين الركبة والوريد، وصوت يوقظ النوام، وفعل يوجب كثيرا من الآثام. قال: والله ما يفعل هذا العدو البعيد، فكيف الصديق الودود؟!

(٧٧)

كان أبو حنيفة يدعو أصحابه إلي الاهتمام بمظهرهم.. وكان إذا قام للصلاة لبس أفخر ثيابه وتعطر، لأنه سيقف بين يدي الله. ورأى مرة أحد جلسائه في ثياب رثة، فدس في يده ألف درهم وهمس: أصلح بها حالك «فقال الرجل» لست احتاج إليها وأنا موسر وإنما هو الزهد في الدنيا. فقال أبو حنيفة: أما بلغك الحديث: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده؟

(٧٨)

وقيل لرجل ممن عشق : ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى – قال: كنت أطيع الحبّ في لثامها، وأعصي الشّيطان في آثامها، ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميماً عاره، وينشر

قبيح أخباره في ساعةٍ تفقد لذّتها. إنّي إذاً لئيمٌ، ولم يلدني كريم.

(٧٩)

سئل الإمام أبو عبد الله الحسين السبط رضي الله عنه أين الله ؟ فقال : « قريب غير ملتصق ، بعيد غير مستقصى، لا إله إلا هو الكبير المتعال ».

(٨٠)

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات.

قال: باطل يا أمير المؤمنين ،أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي قل: بل نبي خليفة.

قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داور عليه السلام: « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ».

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا.

(٨١)

روي أن بعض قضاة الحنفية إذا ارتاب بالشهود فرقهم فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء فأراد أن يفرق بين

المرأتـين علـى عادتـه فقالـت إحداهمـا أخطـأت لأن الله تعـالى قـال «فتذكـر إحداهمـا الأخـرى»، فـإذا فرقـت زال المعنـى الـذي قصـده الشـرع ، فأمسـك.

(٨٣)

عندمـا نشـبت الفتنـة الكـبرى، واجتمـع جيـش مـن المسـلمين تحـت لـواء معاويـة يريـدون قتـال الإمـام علـي بحجـة الثـأر مـن قتلـة عثمـان، لتلتقـي السـيوف الإسـلامية للمـرة الأولى ضـد بعضهـا، وأرادوا أن يضمـوا معهـم سـعد بـن أبـي وقاص.. فقال لهـم الصحابي الجليـل، «قاتلنـا في زمـن رسـول الله حتـى لا تكـون فتنـة ويكـون الديـن كلـه لله.. أمـا أنتـم فتريـدون القتـال حتـى تكـون فتنـة.»

(٨٤)

حكـى طـراد بـن محمـد أن يهوديـاً ناظـر مسـلماً أظنـه قـال في مجلـس المرتضـى، فقـال اليهـودي: مـاذا أقـول في قـوم سمّاهـم الله مدبريـن ؟.. يعـني النـبي صلـى الله عليـه وسـلّم وأصحابـه يـوم حنـين، فقـال المسـلم: فـإذا كان موسـى أدبـر منهـم. قـال اليهـودي: كيـف ؟ قـال المسـلم : لأن الله تعـالى قـال : (ولّى مدبـراً ولم يعقـب)، وهـؤلاء مـا قـال فيهـم ولم يعقبـوا . فسـكت اليهـودي.

(٨٥)

رأى أحـد الصالحـين الخليفـة هـارون الرشـيد ,فصـاح بـه : يـا هـارون , لقـد أتعبـت الأمـة , ولم يسـتقم أمـرك. فأمـر حراسـه فأحضـروه فسـأله بحنـق: مـا حملـك علـى أن تناديـني باسمـي دون

كنيتي !؟ فقال : إن الله كني أعداءه فقال : «تبت يدا أبي لهب وتب» و سمى أولياءه فقال : « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي» ، و «يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا».

فعفا عنه .

(٨٦)

وعن علي أنه جيء برجل حلف فقال امرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضان نهاراً فقال: تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً.

(٨٧)

قال معاوية بن أبي سفيان يوماً لأهل الشام ، وعنده عقيل بن أبي طالب: هل سمعتم قول الله عزّ وجل : (تبت يدا أبي لهبٍ وتب) فقال الحضور : نعم سمعنا ، فقال معاوية إن أبا لهبٍ عمَ هذا الرجل وأشار إلى عقيل .

فقال عقيل : هل سمعتم قول الله عزّ وجل : (وامرأته حمالة الحطب) فقال الحضور : سمعنا . فقال عقيل حمالة الحطب عمة هذا الرجل ، وأشار إلى معاوية .

(٨٨)

قيل: إن ملحداً جيء به إلى (هارون الرشيد) فسأله: يا عدو الله هل أنت من كبار الزنادقة؟ قال الرجل: كيف أكون منهم وأنا أصلي الفرائض وأعمل بالسنن؟قال هارون: سأجلدك بالسوط حتّى تعترف وتقرّ بالزندقة.. قال الرجل: إن ضربتني

فقد خالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: لماذا؟ قال الرجل: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يضرب حتى يقّر الناس بالإسلام، وأنت تضرب حتى يقّر الناس بالكفر.فاستحى هارون من هذا الكلام وأطلق سراحه.

(٨٩)

سئل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه, عن المسافة بين الشرق والغرب, فقال : مسيرة يوم للشمس , وسئل عن المسافة بين الأرض والسماء فأجاب : دعوة مستجابة.

(٩٠)

ذهب رجل، يهودي، ذات مرة، يشكو لعمر بن الخطاب من علي بن أبي طالب، وكان جالسا إلى جواره.. فقال عمر: يا أبا الحسن قم وأجلس إلى جوار خصمك. حتى يتساويا في الجلسة أمام القاضي. وفي نهاية الجلسة قال الإمام علي: أنا عاتب عليك لأنك ناديتني بكنيتي «أبا الحسن» وفيها تكريم وتعظيم. ولم تناديني باسمي مجردا. فخشيت أن يستشعر اليهودي أنك تفضلني عليه. فيقول ذهب العدل من المسلمين.

(٩١)

سئل الإمام الشافعي: شرب مسلمان عاقلان الخمر, فلماذا يُقام الحد على أحدهما ولا يُقام على الآخر ؟

ففكر قليلا و أجاب: إن أحدهما كان صبياً والآخر بالغا .

(٩٢)

عـن سـعيد بـن جبـير قـال : ذكـروا اللمـس (أو لامسـتم النسـاء) فقـال نـاس مـن الموالـي ليـس بالجمـاع ، وقـال نـاس مـن العـرب : اللمـس الجمـاع .. قـال فأتيـت ابـن عبـاس فقلـت إن ناسـا مـن الموالـي والعـرب اختلفـوا في اللمـس فقالـت الموالـي ليـس بالجمـاع وقالـت العـرب: الجمـاع ..فقـال ابـن عبـاس :وفي أي الفريقـين كنـت يـا ابـن جبـير؟ ، قلـت : كنـت في فريـق الموالـي .. فقـال ابـن عبـاس : غُلـب فريـق الموالـي ..إن المـس واللمـس والمباشـرة تعـني الجمـاع ولكـن الله حيـي كريـم يكـني بمـا شـاء عمـا شـاء..

(٩٣)

كان سـعد بـن أبـي وقـاص يقـال لـه: المسـتجاب لقـول النـبي صلـى الله عليـه وسـلم: اتقـوا دعـوة سـعد.

فلما شاطره عمر ماله قال له سعد: لقد هممت.

قال له عمر: بأن تدعو علي ؟ قال: نعم.

قال: إذا لا تجدني بدعاء ربي شقيا.

(٩٤)

نـادى رجـل سـليمان ابـن عبـد الملـك وهـو علـى المنـبر: يـا سـليمان اذكـر يـوم الأذان فنـزل سـليمان مـن علـى المنـبر ودعـا بالرجـل فقـال لـه : مـا يـوم الأذان ؟ فقـال الرجـل : هـو اليـوم الـذي قـال الله تعـالى عنـه (فـأذن مـؤذن بينهـم أن لعنـة الله علـى

الظالمين) ، قال : فما ظلامتك ؟ قال الرجل : أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك ، فكتب سليمان إلى وكيله : ادفع إليه أرضه وأرضا مع أرضه.

(٩٥)

سئل الشافعي : زنا خمسة أفراد بامرأة ، فوجب على أولِهم القتل .. وثانيهم الرجم .. وثالثِهم الحد .. ورابعِهم نصفُ الحدِّ .. وآخرهم لا شيء ؟

فكر قليلاً فأجاب : استحل الأول الزنا فصار مرتدًا فوجب عليه القتل .. والثاني كان محصناً ..والثالث غير محصنٍ .. والرابع كان عبداً .. والخامس مجنوناً.

(٩٦)

قال علي بن عاصم: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض، قال الحجام: لا ، قال أبو حنيفة: ولم؟ قال: لأنه يكثر. فقال أبو حنيفة: إذا فتتبع مواضع السواد لعله يكثر.

ولذلك قيل : لو ترك أبو حنيفة القياس لتركه مع الحجام .

(٩٧)

قال رجل للحجاج إن ثقيف من ثمود فرد عليه بقوله تعالى: (وثمود فما أبقى) ، ثم قال : يزعم أهل العراق أني من بقية ثمود .. ونِعمَ والله البقية بقية ثمود ! ! ما نجا مع صالح إلا المؤمنون !

(٩٨)

سـئل الإمـام الشـافعي: مـا رأيـك في رجـل صلـى ولمـا سـلم عـن يمينـه طلقـت زوجتـه !! .. ولمـا سـلم عـن يسـاره بطلـت صلاتـه!!.. ولمـا نظـر إلى السـماء وجـب عليـه دفـع ألـف درهـم ؟

ففكـر قليـلاً ثـم قـال: لمـا سـلم عـن يمينـه رأى زوج امرأتـه الـتي تزوجهـا في غيابـه فلمـا رآه قـد حضـر طلقـت منـه زوجتـه..

ولما سلم عن يساره رأى في ثوبه نجاسة فبطلت صلاته .

فلمـا نظـر إلى السـماء رأى الهـلال وقـد ظهـر في السـماء وكان عليـه ديـن ألـف درهـم يسـتحق سـداده في أول الشـهر.

(٩٩)

جاء رجل إلى ابن الجوزي وسأله: أيهما أفضل: أسبح أم أستغفر؟

فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور .

(١٠٠)

أتـى الحـرث بـن مسـكين أيـام محنـة خلـق القـرآن وابـن أبـي دؤاد يمتحـن النـاس بخلـق القـرآن فقـال للحـرث: اشـهد أن القـرآن مخلـوق، فقـال: أشـهد أن هـذه الأربعـة مخلوقـة وبسـط أصابعـه الأربـع فقـال التـوراة والإنجيـل والزبـور والفرقـان. فعـرض وكنـى وتخلـص مـن القتـل.

(١٠١)

تكلم شاب يوماً عند الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا، قال فشطره؟ قال: لا قال فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

(١٠٢)

وقال عبد الله بن سليمان بن الأشعث سمعت أبي يقول: كان هارون الأعور يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وحفظ القرآن وضبطه وحفظ النحو فناظره إنسان يوماً في مسألة، فغلبه هارون فلم يدر المغلوب ما صنع فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت، فقال له هارون: أفبئس ما صنعت؟ فبهت الرجل.

(١٠٣)

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال له علي كرم الله وجهه: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة».

(١٠٤)

سُئل الحسن لأي شيء استحب صوم أيام البيض؟ فقال: لا أدري، فقال أعرابي في حلقته: لكني أدري قال: وما هو؟ قال: لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن فأحب الله عز وجل أن لا يحدث في السماء أمر ألا حدثت له في الأرض عبادة.

(١٠٥)

عن حجر المدري قال: قال لي علي رضي الله عنه كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم، قلت :كيف أصنع ؟ قال: العنني ولا تتبرأ مني.. وبعد زمان حدث أن قام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال له العن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله.. فتفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد.

(١٠٦)

سأل بعض الناس الإمام الشافعي عن ثمانية أشياء فقالوا له :

ما رأيك في واجب وأوجب وعجيب وأعجب وصعب وأصعب وقريب واقرب فرد عليهم بقوله من واجب الناس ان يتوبوا ولكن ترك الذنوب اوجب والدهر في صرفه عجيب وغفلة الناس عنه أعجب والصبر في النائبات صعب ولكن فوات الثواب أصعب وكل ما ترتجي قريب والموت من دون ذلك أقرب.

باب صدق المحبة

(١٠٧)

قيل لأعرابي: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى – قال: كنت أمتع عيني في وجهها، وقلبي من حديثها، وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه إلا عند حلّه. قيل: فإن خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك – قال: أكل قلبي إلى حبّها، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها.

(١٠٨)

قيل أنه ذات مرة دخل الإمام علي بن أبي طالب على زوجته السيدة فاطمة فوجدها تمسك بالسواك وتنظف به فمها، فأنشأ يقول متغزلا :

هنئت يا عود الأراك بثغرها

أما خفت يا عود الأراك أراكَ

لو كان غيرك يا سواك قتلته

ما فاز منى يا سواك سواكَ

(١٠٩)

قيل لبعض الأعراب، وقد طال عشقه لجاريةٍ: ما أنت صانعٌ لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله– قال: إذن، والله لا أجعله أهون النّاظرين، لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها، حديث يطول، ولحظٌ كليل وترك ما يكره الرب، وينقطع به الحب.

(١١٠)

قيل لليلى: هذا قيس مات لما به من عشقك. قالت: ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه. قيل لها: فما عندك حيلة تخفّف ما به- قالت: صبري، وصبره، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

(١١١)

قيل لابنة ملكٍ من ملوك الفرس، وقد أجهدها عشق رجل من رجال أبيها: لو روّحت عن قلبك بالاجتماع معه، كف ذلك من وجدك. قالت: إن الأمر على ما تصفون، ولكن ما عذري إذ هتكت ستري، وأظهرت أمري، عند من لا يلزمه عاري، ويرغمه اشتهاري، والله لا كان هذا أبدا.

(١١٢)

وقيل لرجل ممن عشق : ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى- قال: كنت أطيع الحبّ في لثامها، وأعصي الشّيطان في آثامها، ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميماً عاره، وينشر قبيح أخباره في ساعةٍ تفقد لذّتها. إنّي إذاً لئيمٌ، ولم يلدني كريم.

(١١٣)

قال الأصمعي: قلت لأعرابيّةٍ من بني عذرة: أنتم أكثر الناس عشقاً فما تعدّون العشق فيكم- قالت: الغمزة والقبلة والضمّة. ثم قالت :

ما الحب إلا قبلة وغمز كفٍ وعضد

ما الحب إلا هكذا إن نكح الحب فسد

ثمّ قالت: وأنتم يا حضر، كيف تعدّون العشق فيكم– قلت: يقعد بين رجليها ويجهد نفسه. فقالت: يا ابن أخي، ما هذا عاشقاً هذا طالب ولد.

(١١٤)

عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت إليه جارية شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ الرطب على الخد الأسيل

هطلت في ساعة البين من الطرف الكحيل

ثم قال أجيزي، فقالت:

حين هم القمر الزاهر عنا بالأفول

إنما يفضح العشاق في وقت الرحيل

(١١٥)

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلت: أخرساء هي– فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً.

(١١٦)

سئل عاشق عذري : ما أنت صانع إن ظفرت بمن تحب – قال: أحلل ما يشتمل عليه الخمار وأحرم ما كتمه الإزار، وأزجر الحب عما يغضب الرب.

(١١٧)

عندما لام البعض الإمام ابن حزم – وهو الفقيه المتبحر التقي– على هواه واتهموه بمجانبة الشريعة لأنه أحب ، رد عليهم قائلا:

متى جاء تحريم الهوى عن محمدٍ

وهل منعه في محكم الذكر ثابت

إذا لم أواقع محرماً أتقي به

مجئ يوم البعث والوجه باهت

فلست أبالي في الهوى قول لائمٍ

سواءٌ لعمري جاهر أو مخافت

وهل يلزم الإنسان إلا اختياره

وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

(١١٨)

حكـي أن رجـلاً قـال لعمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه: يـا أمـير المؤمنـين، إنـي رأيـت امـرأة فعشـقتها، فقـال عمـر: ذاك ممـا لا يُملـك».

(١١٩)

يقول إبراهيم بن محمد الواسطي:

كـم قد ظفـرت بمن أهـوى فيمنعني
منـه الحيـاء وخـوف الله والحـذر
وكـم خلـوت بمـن أهـوى فيقنعـني
منـه الفكاهـة والتحديـث والنظـر
أهـوى المـلاح وأهـوى أن أجالسـهم
وليـس لـي في حـرامٍ منهـم وطـر
كذلـك الحـب لا إتيـان معصيـةٍ
لا خـير في لـذةٍ مـن بعدهـا سـقر

(١٢٠)

حكى الأصمعي راوية العرب الشهير:

بينمـا كنـت أسـير في الباديـة ، إذ مـررت بحجـر مكتـوب عليـه هـذا البيـت :

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته البيت التالي:

يداري هواه ثم يكتم سـره ويخـشع في كل الأمور ويخضع

يقول ثم عدت في اليوم التالي فوجدت مكتوبا تحته هذا البيت :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفـي كل يـوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته البيت التالي:

إذا لم يجد صبرا لكتمان سـره فليـس له شيء سوى الموت ينفع

يقول الأصمعي : فعدت في اليوم الثالث , فوجدت شابا ملقى تحت الحجر ميتا، ومكتوب تحته هذان البيتان :

سمعنا وأطعنا ثم متنا فبلغـوا سلامي إلى من كان للوصل يمنـع

(١٢١)

ربما تكون قصة عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه مكة وسلامة إحدى جواري ومطربات المدينة، من أجمل ما يروى من قصص الحب العفيف والتي ذاعت واشتهرت باسم (سلامة القس)، فقد كان عبد الرحمن يلقبونه بالقس لعبادته ونسكه. ويروى أن هذا الفقيه قد خلا يوما بسلامة, « فقالت له: أنا – والله – أحبك فقال : وأنا – والله – الذي لا إله إلا هو .قالت: وأشتهي أن أعانقك وأقبلك.. قال: وأنا – والله .قالت : فما يمنعك ؟ – فوالله – إن الموضع لخال . قال : يمنعني قول الله

عـز وجـل (الأخـلاء بعضهـم يومئـذ لبعـض عـدو إلا المتقـين) فأكـره أن تحـول مودتـي لـك عـداوة يـوم القيامـة. إنـي أرى برهـان ربـي، وهـو يمنعـني أن أكـون مـن سـيئاتك وأن تكونـي مـن سـيئاتي.. ولـو أحببـت الأنثـى لوجدتـك في كل أنثـى، ولكـني أحـب مـا فيـك أنـت بخاصتـك».

وكـم كانـت جميلـة وبسـيطة تلـك الأبيـات الـتي عـبر بهـا علـي أحمـد باكثـير عـن هـذا الحـب الطاهـر النقـي حيـث يقـول:

قالوا أحب القس سلامة　　　وهو التقي الناسك الطاهرُ

كأنما لم يدر قبلي الهوى　　　إلا الغوي الفاتك الفاجرُ

يا قوم إني بـــشر مثلـكم　　　وفاطـــري ربكم الفاطرُ

لي كبد تهفو كأكبـادكم　　　ولي فــؤاد مثلكم شاعرُ

باب حسن النصيحة

(١٢٢)

روي عـن سـليمان بـن داود عليهمـا السـلام أنـه قـال لابنـه: يـا بـني، لا تكثـر الغـيرة علـى أهلـك مـن غـير ريبـة، فترمـى بالسـوء مـن أجلـك وإن كانـت بريئـة .

(١٢٣)

قـال كسـرى: لا تنـزل ببلـد ليـس فيـه خمسـة أشـياء: سـلطان قاهـر (أي حـازم) وقـاضٍ عـادل، وسـوق قائمـة (أي فيهـا تجـارة رابحـة) وطبيـب عـالم، ونهـر جـارٍ.

(١٢٤)

كتـب بعـض ملـوك فـارس علـى بابـه: تحتـاج أبـواب الملـوك إلى عقـل ومـال وصبر..فكتـب بعـض الحكمـاء تحتـه مـن كان عنـده واحـدة مـن هـذه الثـلاث لم يحتـج إلى أبـواب الملـوك فرفـع خـبره إلى الملـك فقـال: زه ! وأمـر بإجازتـه ومحـو الكتابـه مـن البـاب .

و(زه) : كلمة فارسية تقال عند الإستحسان .

(١٢٥)

لقـي الفضيـل بـن عيـاض ذات يـوم رجـلا فقـال لـه الفضيـل : كـم عمـرك؟ فقـال: سـتون سـنة ، قـال الفضيـل ك إذن أنـت منـذ سـتين سـنة تسـير إلى الله يوشـك أن تصـل. فقـال الرجـل إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

فقال الفضيل : يا أخي هل عرفت معناها؟ قال نعم عرفت أني لله عبد وإني إليه راجع. فقال الفضيل : يا أخي إنما من عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يدي الله، ومن عرف أنه موقوف بين يدي الله عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول، فليعد للسؤال جوابا. فبكى الرجل وقال يا فضيل: وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة. قال ما هي يرحمك الله؟ قال أن تتق الله فيما بقى يغفر الله لك ما مضى وما بقى.

(١٢٦)

سأل رجل مهموم علي بن أبي طالب ،فقال: يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وما لي حيلة مما أنا فيه من الهم؟

فقال :سأسألك سؤالين وأُريد إجابتهما ، فقال الرجل: اسأل.

فقال : أجئت إلى هذه الدنيا ومعك تلك المشاكل؟ قال الرجل :لا.

فقال : هل ستترك الدنيا وتأخذ معك المشاكل؟ قال : لا

فقال علي : أمرٌ لم تأتِ به، ولن يذهب معك ..الأجدر ألا يأخذ منك كل هذا الهم فكن صبوراً على أمر الدنيا ،وليكن نظرك إلى السماء أطول من نظرك إلى الأرض يكن لك ما أردت .فرزقك مقسوم وقدرك محسوم..وأحوال الدنيا لا تستحق الهموم.. لأنها بين يدي الحي القيوم.

(١٢٧)

جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة ؟ قال : أمك حية ؟ قال : لا ، قال : تب إلى الله عز وجل ، وتقرب إليه ما استطعت . ولما سئل ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه ؟ فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة.

(١٢٨)

قال رباح بن عبيدة: كنت قاعدًا عند عمربن عبد العزيز فذُكر الحجاج، فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقصه حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم عليه فضل.

(١٢٩)

قال الفضل: إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب ، فإنهم أن أجابوكم شق عليهم وأن لم يجيبوكم شق عليكم.

(١٣٠)

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت، قال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام.

(١٣١)

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول: اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدِّث بأحسن ما تحفظ!

(١٣٢)

من المنقول عن هشام بن عبد الملك أنه قال لمؤدب ولده: إذا سمعت منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة فلا تؤنبه لتخجله وعسى أن ينصر خطأه فيكون نصره للخطأ أقبح من ابتدائه به ولكن احفظها عليه فإذا خلا فرده عنها.

(١٣٣)

وقف رجل بين يدي المأمون وقد جنا جناية فقال له: والله لأقتلنك فقال الرجل: يا أمير المؤمنين تأن علي فإن الرفق نصف العفو قال: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ قال: يا أمير المؤمنين لأن تلقى الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلاً. فخلى سبيله.

(١٣٤)

أُتي الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة فقال: والله لا أكلتها حتى أقتلك، قال: أو خير من ذلك تطعمينها ولا تقتلني، فتكون قد بررت في يمينك ومننت علي، فقال: ادن مني فأطعمه إياها وخلاه.

باب خفة الظل

(١٣٥)

وقف أعرابيّ على أبي الأسود الدؤلي وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل، ولم يعزم عليه. فقال له الأعرابي: أما إني قد مررت بأهلك. قال :كذلك كان طريقك. قال وامرأتك حبلى. قال: كذلك كان عهدي بها. قال: قد ولدت. قال كان لا بد لها أن تلد. قال: ولدت غلامين. قال:كذلك كانت أمها. قال: مات أحدهما. قال: ما كانت تقوى على إرضاع أثنين. قال :ثم مات الآخر. قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه. قال: وماتت الأُم: قال: حزناً على ولديها. قال: ما أطيب طعامك. قال: لأجل ذلك أكلته وحدي والله لا ذقته يا أعرابي.

(١٣٦)

قدم على أبي علقمة النحوي ابن أخ له ، فقال له : ما فعل أبوك؟ قال : مات قال : وما علته ؟ قال : ورمت قدميه ، قال: قل : قدماه ، قال : فارتفع الورم إلى ركبتاه ، قال: قل: ركبتيه ، فقال : دعني يا عم ، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا !

(١٣٧)

روي أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي، قال سليمان: أنا وحدي؟ قال: لا بل العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان إلى هناك. فصعد الهدهد إلى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي

اللّه إن كان اللحم قليلاً فالمرق كثير، فكلوا، من فاته اللحم ناله المرق . فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً.

(١٣٨)

دفع أبو الطّيب الطبري خفاً إلى خفاف ليصلحه فكان كلّما مرّ عليه يطلبه منه.. وكان الخفّاف كلما رأى القاضي أخذ الخف وغمسه في الماء وقال :الساعة الساعة .. فلما طال عليه العهد قال له إنما دفعته إليك لتصلحه ، لا لتعلمه السباحة.

(١٣٩)

قعد صبي مع قوم يأكلون فبكى، قالوا: مالك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد قال: أنتم لا تدعونه.

(١٤٠)

قال بنان : حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين «آتنا غداءنا».

(١٤١)

روي أن رجلاً سرق حماراً فأتى السوق ليبيعه فسرق منه، فعاد إلى منزله فقالت له امرأته: بكم بعته؟ قال: برأس ماله.

(١٤٢)

دعا رجل أبا عبدالله بن الحجاج وأخر الطعام إلى المساء فقال أبو عبدالله :

يـا ذاهباً في دارهِ جـائـياً   بغير معـنىً وبـلا فائدة
قد جُنَّ أضيافك من جوعهم   فاقرأ عليهم سورة المائدة

(١٤٣)

وقـف قـوم علـى مزيـد وهـو يطبـخ قـدراً فأخـذ أحدهـم قطعـة لحـم فأكلهـا وقـال: يـا مزيـد تحتـاج القـدر إلى الخـل ، وأخـذ آخـر قطعـة لحـم فأكلهـا وقـال: تحتـاج القـدر إلى توابـل، وأخـذ آخـر قطعـة لحـم وقـال: يحتـاج القدر إلى ملـح ، فأخـذ الطباخ منـه قطعة اللحـم وقـال: تحتـاج القـدر إلى لحـم. فتضاحكـوا منـه وانصرفـوا.

(١٤٤)

سـئل بعـض الجنـد عـن نسـبه فقـال : أنـا ابـن أخـت فـلان . فسـمع ذلـك أعرابـي ، فقـال : النـاس ينتسـبون طـولاً ، وهـذا الفتـى ينتسـب عرضـا .

(١٤٥)

قيـل لأشـعب: لـو أنـك حفظـت الحديـث حِفْظُـكَ هـذه النـوادر، لـكان أولى بِـك.

قال: قد فَعَلتُ.

قالوا له: فَما حَفِظتَ مِن الحديثِ؟

قـال: «حَدَّثَـني نَافـعٌ عـن ابـن عُمَـر عَـن النـبي صلـى اللّه عليـه وسـلمَ قـال: «مَـن كان فيـهِ خِصلتـان كُتِـبَ عِنـدَ اللّه خالصـاً مُخلّصـاً»

قالوا: هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان؟

قال: نَسي نافعٌ واحدة، ونسيتُ أنا الأُخرى!

(١٤٦)

أنشد رجل لرجل شعراً رديئاً ثم قال له: تراني مطبوعاً؟

قال: إي واللّه على قلبك.

(١٤٧)

تزوج أعمى امرأة فقالت له: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت، فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البُصراء.

(١٤٨)

جاء أحد الأعراب صديقا له حضريا، فقدم له الكامخ (طعام يُصنع من الحنطة ممزوجة باللبن) فلم يستطبه، وأكل منه قليلاً، ثم غادر دار صديقه إلى المسجد فوجد الإمام في الصلاة يقرأ: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) فقال الأعرابي: والكامخ ، إياك أن تنساه أصلحك الله!

(١٤٩)

كان الأصمعي يطوف بالبيت الحرام فشاهد أعرابياً مُمسكاً بأستار الكعبة ويقول : اللهم أمتني ميتة أبي خارجة !

فسأله الأصمعي : وكيف مات أبو خارجة

قـال الأعرابـي : أكل فامتـلأ ، وشـربَ عصـير عنـب ، ونـام في الشـمس ، فمـات شـبعان ريـان دفيـان .

(١٥٠)

أعطـت امـرأة جاريتهـا درهمـاً وقالـت :اشـتري هريسـة فرجعـت فقالـت: يـا سـيدتي سـقط الدرهـم مـني فضـاع، فقالـت: يـا فاعلـة تكلميـني بفمـك كلـه وتقولـين ذهـب الدرهـم فأمسـكت الجاريـة نصـف فمهـا بيدهـا وقالـت بالنصف الآخـر: وانكسـرت يـا سـيدتي الزبديـة.

(١٥١)

قيـل : كان الجاحـظ قبيـح الصورة جدا ، حتى قال الشـاعر فيه :

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا   ما كان إلا دون قبح الجاحظ

وقـال يومـا لتلامذتـه : مـا أخجلـني إلا امـرأة أتـت بـي إلى صائـغ ، فقالـت :مثـل هـذا ، فبقيـت حائـرا في كلامهـا ، فلمـا ذهبـت المـرأة سـألت الصائـغ ، فقـال لـي : اسـتعملتني أن أصنـع لهـا صـورة جـني فقلـت : لا أدري كيـف صورتـه ، فأتـت بـك .

(١٥٢)

دخـل أبـو دلامـة – مضحـك الخلفـاء– علـى سـلمة المخزوميـة امـرأة الخليفـة أبـي العبـاس السـفاح, بعـد وفـاة زوجهـا, فـإذا هـي متفجعـة, فبكـى وبكـت معـه, وأنشـدها قصيـدة في رثائـه, فقالـت لـه: لم أر أحـدا أصيـب بـه غـيري وغـيرك يـا أبـا دلامـة فقال: ولا سـواء

، يرحمك اللّه ، لك منه ولد، وما ولدت أنا منه، فضحكت ولم تكن ضحكت قبل ذلك وقالت: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

(١٥٣)

كان المطلب بن محمد على قضاء مكة وكان عند امرأة قد مات عنها أربع أزواج ، فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي .

(١٥٤)

روي أن الرشيد قال لأبي يوسف ما تقول في الفالوذج واللوزينج

(نوعين من الحلوى) أيهما أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا أقضي بين غائبين عني، فأمر بإحضارهما فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصف الطبقين، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

(١٥٥)

دخل رجل السوق في شراء فرس، فقال له النخاس: صفه لي. فقال: أريده حسن القميص، جيد الفصوص، وثيق العصب، نقي القصب، يشير بأذنيه، ويتشوف برأسه، ويخطر بيديه، ويدحو برجليه، كأنه موج في لجة، أو سيل في حدور، أو منحط من جبل. فقال له النخاس: نعم كذلك كان صلوات اللّه عليه. قال: إنما أصف لك فرساً، قال: ما حسبتك تصف إلا نبيا .

(١٥٦)

قال احد الشعراء يصف داره :

ودار خراب بها قد نزلت ولكن نزلت إلى السابعة
فلا فرق مابين أن أكون بها أو أكون على القارعة
واخشي بها ان أقيم الصلاة فتسجد حيطانها الراكعة
إذا ما قرأت (إذا زلزلت) خشيت بأن تقرأ (الواقعة)

(١٥٧)

حكي أن بعض الناس ضاف رجلاً فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل من الغرفة فصاح به: فلان، قال: لبيك، قال: أنت كنت في الدار فما الذي رقاك إلى الغرفة قال تدحرجت، قال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل فكيف تدحرجت أنت؟ قال: فمن هذا أضحك.

(١٥٨)

قال ابن أبي عتيق لامرأته: تمنيت أن يهدى إلينا مسلوخ (أي: شاة سلخ جلدها) فنتخذ من الطعام لون كذا، ولون كذا؛ فسمعته جارةٌ له، فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته، فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب؛ وقال: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها؛ فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إذا أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأماني.

(١٥٩)

قص قاص فقال: إذا مات العبد وهو سكران دفن وهو سكران وحشر وهو سكران، فقال رجل في طرف الحلقة :هذا والله نبيذ جيد يساوي الكوز منه عشرين درهماً.

(١٦٠)

اقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه والأعرابي يلاحظه فجلس بين يديه ،فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم ، قال :فاقرأ، فقرأ :والزيتون وطور سينين قال الرجل فأين التين؟ قال التين تحت كسائك.

(١٦١)

ذكر أنه كان مع هارون الرشيد ابن أبي مريم المدني ، وكان مضحاكا له محدثا فكيها ، فكان الرشيد لا يصبر عنه ، ولا يمل محادثته ، وكان ممن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز ، وألقاب الأشراف ، ومكايد المجان ، فبلغ من خاصته بالرشيد ، أن بوأه منزلا في قصره ، وخلطه بحرمه ، وبطانته ومواليه وغلمانه ، فجاء ذات ليلة وهو نائم ، وقد طلع الفجر، وقام الرشيد إلى الصلاة ، فألفاه نائما ، فكشف اللحاف عن ظهره ،و قال : قم إلى الصلاة ، قال : هذا وقت صلاة أبي الجارود ، وأنا من أصحاب أبي يوسف القاضي ، فمضى وتركه نائما ، وتأهب الرشيد للصلاة ، فجاء غلامه ، فقال :

أمير المؤمنين ، قد قام إلى الصلاة ، فقام ، فألقى عليه ثيابه ومضى نحوه ، فإذا الرشيد يقرأ في صلاته ، فانتهى إليه، وهو يقرأ» : وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي»، فقال ابن أبي مريم : لا أدري والله! فما تمالك الرشيد أن ضحك في صلاته ، ثم التفت إليه ، وهو كالمغضب ، فقال : يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا، قَالَ : يا هذا وما صنعت ؟ قَالَ : قطعت علي صلاتي، قَالَ : والله ما فعلت إنما سمعت منك كلاما غمني حين قلت: «وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي»، فقلت: لا أدري والله ، فعاد فضحك ، وقال :يا ابن أبي مريم إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما.

باب سعة الحيلة

(١٦٢)

ساوم أحد الأعراب حنيناً الإسكافي على خفين، ولكنه لم يشترهما بعد جدلٍ طويل، فغاظ حنيناً جدل الأعرابي، فقام وعلّق أحد الخفين في طريق الأعرابي، ثم سار وطرح الآخر في طريقه، وكمن له. فلما مر الأعرابي ورأى أحد الخفين قال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، فتقدم ورأى الثاني مطروحاً، فندم على تركه الأول، فنزل وعقل راحلته، ورجع إلى الأول، فذهب حنين براحلته، ورجع الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي جئت به من سفرك؟ فقال: جئت بخفي حنين.

(١٦٣)

دخل أشعب على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور فوجد أمير المؤمنين يأكل من طبق من اللوز والفستق.

فألقى أبو جعفر المنصور إلى أشعب بواحدة من اللوز.

فقال أشعب : يا أمير المؤمنين (ثاني اثنين إذ هما في الغار)

فألقى إليه أبو جعفر اللوزة الثانية

فقال أشعب : (فعززنا بثالث) فألقى إليه الثالثه

فقال أشعب : (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك)

فألقى إليه الرابعة

فقال أشعب : (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم)

فألقى إليه الخامسة والسادسة

فقال أشعب : (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فألقى إليه السابعة والثامنة

فقال أشعب : (وكان في المدينة تسعة رهط)

فألقى إليه التاسعة

فقال أشعب : (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة)

فألقى إليه العاشرة

فقال أشعب : (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)

فألقى إليه الحادية عشر

فقال أشعب : والله يا أمير المؤمنين إن لم تعطني الطبق كله لأقولن لك:

(وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)

فأعطاه الطبق كله.

(١٦٤)

أوصى طفيلي غلامه فقال: إذا ضاق بك الموضع فقل للذي إلى جانبك لعلى ضيقت عليك ، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر.

(١٦٥)

خرج الإسكندر يوماً في الحرب من صف أصحابه وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمناه. فاتهمت الفرس بعضها بعضاً وكان أول اضطراب حدث فيهم.

(١٦٦)

اختصم رجلان في شاة وكل واحد منهما قد أخذ بإذنها فجاء رجل فقالا: قد رضينا بحكمك ، قال : إن رضيتما بحكمي فليحلف كل واحد منكما بالطلاق أنه لا يرجع فيما أحكم به، فحلفا، فقال: خلياها،فخلياها، فأخذ بأذنها وساقها فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه.

(١٦٧)

روي أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق ، وكانت المرأة جميلة في النقاب ، بشعة في غيره ، وكان لها لسان حسن فاقنعت القاضي بظلم زوجها لها ، فأسرع زوجها ونزع النقاب عن وجهها !

فقال الأمير : عليكِ اللعنة ، كلام مظلوم ووجه ظالم !

(١٦٨)

ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له:كيف يكون إبليس مخلوقا من النار، ويعذبه الله بالنار؟! ففكر الإمام

الشافعي قليلاً، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب. فقال له: هل أوجعتك؟قال: نعم، أوجعتني فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقا من الطين ويوجعك الطين؟!فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي.

(١٦٩)

خطب سلمان الفارسي إلى عمر بن الخطاب ابنته،فأبدى له الموافقة، فشق ذلك على ابنه عبدالله، فذكر ذلك لعمرو بن العاص وسأله أن يحاول عدم تمام هذا الأمر، فأتى عمرو سلمان فقال له: هنيئاً لك يا أبا عبدالله! تواضع لك عمر! .. فقال سلمان: لي تواضع؟! والله لا تزوجتها.

(١٧٠)

عن عبد الملك بن عمير قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث بن كعب فإني ذكرت امرأة منهم وعندي شاب من بني الحرث فقال أيها الأمير أنه لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأقمت أياماً ثم بلغني أن الفتى تزوج بها فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني انك رأيت رجلا يقبلها؟ قال: بلى، رأيت أباها يقبلها. فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

(١٧١)

عن الأصمعي قال، قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ

بنا في المُنى فوالله لأغلبنك، قال: لا تغلبني، قال: بلى لأفعلن ،قال: فستعلم. قال الوليد: فإني أريد أن أتمنى ضعف ما تتمنى أنت ، فهات ما عندك ، قال: فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب ويلعنني الله لعناً كثيراً، فقال غلبتني قبحك الله.

(١٧٢)

قال الشعبي: مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب: أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب، قال: فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب. فجاء فقال له الأسد: يا أبا الحصين مرضت فعادني السباع كلهم ولم تعدني أنت!

قال: بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له ، قال: فأي شيء أصبت. قال: قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج . فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، فانسل الثعلب وخرج فقعد على الطريق فمر به الذئب والدم يسيل عليه فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت بعد هذا عند سلطان فانظر ما يخرج من رأسك.

(١٧٣)

روي أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون فأحضره فرعون وأحضرهما وقال: للساعيين من ربكما قالا: أنت، فقال للمؤمن: من ربك؟ قال: ربي ربهما، فقال فرعون: سعيتما برجل على ديني لأقتله؟ فقتلهما.

باب روائع الفقهاء والعلماء

(١٧٤)

رُوي عن ابن عباس أنه سئل عن توبة القاتل فقال: (لا توبة له) .. وسأله آخر فقال: (له توبة) ثم قال موضحا سبب اختلاف الإجابة مع إن السؤال واحد: «أما الأول فرأيت في عينه إرادة القتل فمنعته, وأما الثاني فجاء مستكيناً قد قتل فلم أقنطه».

(١٧٥)

سئل الإمام أبو حنيفة ذات مرة: ما قولك في الشرب في قدح أو كأس في بعض جوانبها فضة ؟ فقال: لا بأس به.

فقيل له : أليس قد ورد النهى عن الشرب في إناء الفضة والذهب , فقال : ما تقول في رجل مر على نهر وقد أصابه عطش وليس معه إناء فاغترف الماء من النهر فشربه بكفه وفى إصبعه خاتم , فقال مناظره :لا بأس بذلك .

فقال أبو حنيفة : فهذا كذلك .

(١٧٦)

وقيل له ذات مرة: يا أبا حنيفة هذا الذي تفتي فيه هو الحق الذي لا شك فيه؟

فقال: « لا أدري، لعله الباطل الذي لا مراء فيه!

(١٧٧)

دخل أحد الخوارج واسمه الضحاك الشاري على أبي حنيفة وقال :يا أبو حنيفة تُب . قال: اللهم اجعلني من التوابين.. مم أتوب ؟

قال :من قولك بجواز التحكيم الذي جرى بين علي ومعاوية

فقال أبو حنيفة : ألا تقبل أن تناظرني في هذا الأمر ؟وتقبل بأن يكون صاحبك هذا هو الحكم بيننا فتهلل الضحاك وفرح وقال: نعم أقبل .

فرد أبو حنيفة : أتقبل أن تحكم رجلا بيننا إذا اختلفنا وتنكره على اثنين من أصحاب محمد ؟

فانصرف عنه وتركه.

(١٧٨)

جاء جماعة من أهل المدينة ليناظروا أبا حنيفة فى القراءة خلف الإمام– وأبو حنيفة يقول بعدم القراءة – .. فقال لهم : لا يمكنني مناظرة الجميع , فولوا الكلام أعلمكم . فأشاروا إلى واحد منهم .

فقال أبو حنيفة : هذا أعلمكم ؟ قالوا : نعم .

قال : والحجة عليه كالحجة عليكم ؟ قالوا : نعم .

فقال : إن ناظرته لزمتكم الحجة لأنكم اخترتموه فجعلتم كلامه كلامكم , وكذا نحن اخترنا الإمام فقراءته قراءتنا .

(١٧٩)

قال زفر: «كنا نختلف إلى أبي حنيفة ومعنا أبو يوسف ومحمد بن الحسن، فكنّا نكتب عنه، فقال يوما: ويحك يعقوب! لا تكتب كل ما تسمعه مني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم فأتركه غداً، وأرى الرأي غداً فأتركه بعد غد».

(١٨٠)

جمع الخليفة هارون الرشيد في مجلسه بالحجاز بين الإمام أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة، وكان قاضي قضاة الإسلام، وبين إمام دار الهجرة مالك. فقال الرشيد لمالك: «ناظِر أبا يوسف»، فقال الإمام مالك: «يا أمير المؤمنين إن العلم ليس كالتحريش بين البهائم والديكة».

(١٨١)

كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله مارا مع نفر من أصحابه متوجهين إلي المسجد، فوجدا طفلا يتوضأ وتنزل دموعه في النهر من شدة البكاء ..

فسأله الإمام أبو حنيفة عن السبب ، فقال له الطفل دعني وشأني يا إمام !

فألح عليه الإمام ، فقال له الطفل : قرأت في القران آية تقول

« فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين»

فقال لـه الإمـام: صحيـح ولكنـك يـا بـني مـا زلـت صغـير السـن ولا تنطبـق عليـك هـذه الآيـة .

فقال له الطفل:

أولسـنا يـا إمـام إذا أردنـا ان نشـعل نـارا وضعنـا صغـير الحطـب قبـل كبـيره ؟!

فما كان من الإمام إلا أن قال لجماعته : والله إنه يخاف الله أكثر منا.

(١٨٢)

جـاء رجـل إلى الإمـام مالـك ، وقـال متسـائلا «الرحمـن علـى العـرش اسـتوى « كيـف اسـتوى ؟

فـرد الإمـام مالـك : الاسـتواء معلـوم ، والكيـف مجهـول ، والإيمـان بـه واجـب والسـؤال عنـه بدعـة .

(١٨٣)

روي عـن الإمـام مالـك رحمـه الله أنـه قـال : » دخلـت علـى هـارون الرشـيد ، فقـال لـي : يـا أبـا عبـد الله ينبغـي أن تختلـف إلينـا ، حتـى يسـمع صبياننـا منـك «الموطـأ» ، قـال : أعـز الله أمـير المؤمنـين ، إن العلـم منكـم خـرج ، فـإن أعززتمـوه عـزّ ، وإن ذللتمـوه ذلّ ، والعلـم يؤتـى ولا يأتـي ، فقـال : صدقـت ، أُخرجـوا إلى المسـجد ، حتـى تسـمعوا مـع النـاس» .

(١٨٤)

قال الإمام الشافعي :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم الشفاعة

وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سويا في البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل :

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من تجارتهم معاصي كفانا الله من شر البضاعة

(١٨٥)

حكى المزني أحد أصحاب الشافعي بمصر فقال: « دخلت علي الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلا , وللإخوان مفارقا , ولسوء عملي ملاقيا , ولكأس المنية شاربا وعلي الله تعالي واردا.. ولا أدري أروحي تصير إلي الجنة فأهنيها , أم إلي النار فأعزيها... ثم أنشأ يقول :

ولما قسي قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمنى ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يغو بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

(١٨٦)

سأل رجل أحد الحكماء ـ متهكماً ـ : أعندك دواء للراحة الدائمة . فأجابه على البديهة : الزم التقوى ، فالتقي وقت الراحة له طاعة ، ووقت الطاعة له راحة .

باب الرحمة

(١٨٧)

جاء في (البداية والنهاية) عن الشيخ الصالح عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصقي أنه قال: كنت مرة بقليوب (من قرى مصر) وبين يدي صبرة قمح، فجاء زنبور فأخذ حبة واحدة ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى، أربع مرات، فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك.

(١٨٨)

مرض أحد التابعين .. فلما زارته أمه .. قام فلبس وتأنق كأن لا بأس به .. فلما خرجت من عنده سقط مغشيا عليه ..

فقيل له : كنت معها وما بك شيء .. فما أصابك؟!

فأجاب: إن أنين الأبناء يعذب قلوب الأمهات.

(١٨٩)

دخل الخليفة عمر بن عبد العزيز المسجد وكان مظلما وفيه رجل نائم فلطمه عمر برجله لأنه لم يراه في الظلام..

فقال الرجل: ما هذا أنت حمار؟

فقال له: لابل أنا عمر

فقال مرافق عمر: يا أمير المؤمنين لقد قال لك يا حمار!

فقال عمر: لم يقل يا حمار .. بل سألني فأجبته..

(١٩٠)

سرق لص عمامة الإمام النووي فى السوق وهرب ، فأخذ النووي يركض خلفه وهو يصرخ يقول

« أشهد اللّه أنى ملكتك إياها .. فقل قبلت حتى لا تمسك النار» .

(١٩١)

سأل رجل الإمام علي كرم اللّه وجهه وهو يعدو على بغلة له في ساحة الحرب : حبذا لو اتخذ أمير المؤمنين الخيل مطية له ، فإنها أقرب إلى النجدة وأوسع في الخطوة ، فقال أمير المؤمنين : يا رجل أنا لا أفر ممن كرّ ، ولا أكرّ على من فرّ ، فالبغلة تكفيني .

باب شر الوصف

(١٩٢)

قيل لأعرابي: صف لنا شر النساء.. فقال:

شــرهن النحيفــة الجســم، القليلة اللحم، المحيــاض ، الممــراض، لســانها كأنــه حربة، تبكــي مــن غــير ســبب وتضحــك مــن غــير عجب، عرقوبهــا حديد، منتفخــة الوريد، كلامهــا وعيد، صوتها شــديد. تدفن الحسـنات وتفشـي السـيئات، تعين الزمان على زوجها ولا تعين زوجهــا علــى الزمــان، إن دخــل خرجــت، وإن خــرج دخلــت، وإن ضحــك بكــت، وإن بكــى ضحكت، تبكــي وهــي ظالمــة، وتشــهد وهــي غائبة، وقــد دلى لســانها بالــزور وســال دمعهــا بالفجور، ابتلاهــا الله بالويــل والثبــور وعظائــم الأمــور، هــذه هــي شــر النســاء .

(١٩٣)

قيـل لأبـي حنيفـة رحمـه الله: يـا أبـا حنيفـة ! كم عـدد مجانين العـراق؟ فابتسـم أبـو حنيفـة ، وقـال: أنـا علـى عـد عقلائهـم أقـدر.

(١٩٤)

شــوهد (أبــو مســلم الخراســاني) في عرفــات وهــو يقــول: إلهــي أســتغفرك مــن ذنوبــي وأطلــب منــك الغفــران وإن كنــت أعلــم أنــك لا تغفــر لــي. فقيــل لــه: لمــاذا تيئــس مــن رحمــة الله وغفرانــه؟

قــال: إنــي نســجت ثوبــاً ســداها ولحمتهــا مــن الظلــم والعــدوان وألبســتها جســد بــني العبــاس ومــا دامــت دولتهــم باقيــة فصــراخ النــاس مــن ظلمهــم وتعديهــم وتجاوزهــم متعاليــة، ومــع كل هــذه المظــالم والتعديــات كيــف أرجــو المغفــرة.

(١٩٥)

ألحَّ سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله، فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه للغير.. فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحقّ! فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون الفقير على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة؟ فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

(١٩٦)

قال شيخ من الأعراب في زوجته العجوز المتصنعة :

عجوز ترجّي أن تكون فتيّة وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر

تدسّ إلى العطّار سلعة بيتها وهــل يصلح العطار ما أفسد الدهر

(١٩٧)

قيل لإنسان: ما تقول في الباذنجان؟ -وكان الرجل يكره أكله- فقال: أذناب المحاجم، وبطون العقارب، وبذور الزقوم! قيل له: إنه يحشى باللحم فيكون طيباً، فقال: لو حُشي بالتقوى والمغفرة ما صلح!

(١٩٨)

سئل أعرابي عن رجل فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره!

(١٩٩)

قال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف: إنه ليس من أحد إلا و هو يعرف عيب نفسه، فصف لي عيوبك.

قال: أعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لست أفعل.

قال: أنا لجوج لدود حقود حسود.

قال: ما في إبليس شر من هذا.

(٢٠٠)

نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يصغي إلى سره فأمر بضربه وحبسه. فقال كاتب الحبس: كيف اكتب قصته؟ قال اكتب: استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب.

(٢٠١)

ووجد أعمى مع عمياء في وضع مخل فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتها فقال صاحب الربع: أكتب :ظلمات بعضها فوق بعض.

(٢٠٣)

وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن فلما نظر إليها قال: «وإذا الوحوش حشرت»، فقالت: » وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه».

(٢٠٤)

قال بعض العراقيين، وقد شهد عند القاضي برؤية هلال العيد فرد شهادته:

إن قاضينا لأعمى ... أم على عمد تعامى
تراه سرق العيد كأن ... العيد من مال اليتامى

(٢٠٥)

دخل الشاعر أبو نخيلة اليمن فلم ير بها أحداً حسناً، ورأى نفسه وكان قبيحاً أحسن من بها، فقال:

لم أر غيري حسناً ... منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة ... أحسن من فيها أنا

باب حسن الوصف

(٢٠٦)

قال الحافظ ابن حبان في (روضة العقلاء):

لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا السرور بغير أمن، ولا العقل بغير ورع، ولا الحفظ بغير عمل؛ وكما أن السرور تبع للأمن، والقرابة تبع للمودة؛ كذلك المروءات كلها تبع للعقل.

(٢٠٧)

دخل علي إياس بن معاوية ثلاثة نسوة فقال: أما واحدة فمُرضع والأخرى بكر والثالثة ثيب فقيل له بم علمت؟ قال: أما المُرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها ،وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يميناً وشمالاً.

(٢٠٨)

سُئل الإمام علي بن أبي طالب , ما يفسد أمر القوم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثلاثة وثلاثة ..

وضع الصغير مكان الكبير . وضع الجاهل مكان العالم . وضع التابع في القيادة..

فويل لأمة: مالها عند بخلائها. وسيوفها بيد جبنائها . وصغارها ولاتها .

(٢٠٩)

بكت عجوز على ميت فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة.

(٢١٠)

قال معاوية لصعصعة: أي النساء أحب إليك– قال: المواتية لك فيما تهوى. قال: فأيّهن أبغض إليك– قال: أبعدهنّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النّقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

(٢١١)

قال بعض الأذكياء: إذا رأيت رجلاً من صلاة الغداة على باب داره وهو يقول «وما عند الله خير وأبقى» فاعلم أن في جواره وليمة لم يدع إليها، وإذا رأيت قوماً يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون «وما شهدنا إلا بما علمنا» فاعلم أن شهادتهم لم تقبل وإذا تزوج الرجل فسئل عن حاله فإن قال ما رغبنا إلا في الصلاح فاعلم أن زوجته قبيحة.

(٢١٢)

قيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما : ما بال الناس يكلبون أيام الغلاء ويزيد جوعهم على العادة في الرخص ؟ قال : لأنهم بنو الأرض ، فإذا قحطت أقحطوا ، وإذا أخصبت أخصبوا .

(٢١٣)

روي عن عمر بن الخطاب أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان، وأخلاق سكانها فقال: إن اللّٰه تعالى لما خلق الأشياء – جعل كل شيء لشيء فقال العقل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة: وأنا معك، وقال الخصب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك، وقال الشقاء: أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك.

(٢١٤)

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع؟ فقال: أن يخضع المرء للحق، وينقاد له ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله.

(٢١٥)

ذكر البخاري في (الأدب المفرد) :

كان أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يتبادحون (يترامون) بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال!

(٢١٦)

قال عبداللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه : (أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف عليه السلام، حيث قال لامرأته : « أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» ، وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى عليه السلام : يا أبت استأجره

إن خير من استأجرت القوي الأمين – ، وامرأة فرعون حين قالت: « قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا »

(٢١٧)

قال بعضهم: سمعت يحيى بن سفيان يقول: رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار، فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها صلّى الله عليها. قال: فقلت له يا أبا زكريا، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك– فقال: وما تنكر عليّ من ذلك– صلّى الله عليها وعلى كلّ مليحٍ: يا ابن أخي الصلاة رحمة.

(٢١٨)

قال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال : ويحك وأين توجد هذه؟ قال: تجدها في خالص العرب وفي خالص الفرس.

(٢١٩)

سئل الإمام جعفر الصادق عن إعراب (القلوب) فقال : « إعراب القلوب على أربعة أنواع : رفع ، وفتح ، وخفض ، ووقف :

...رفع القلب : في ذكر الله تعالى ..وفتح القلب : في الرضا عن الله تعالى..وخفض القلب : بالإشغال بغيره سبحانه وتعالى ..ووقفه يكون : بالغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى ».

(٢٢٠)

قيل لأحد الصالحين: ما هو الصبر الجميل ؟

قال : أن تبتلى ، وقلبك يقول الحمد لله .

(٢٢١)

سئل الإمام علي رضي الله عن التقوى فقال : هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل .

(٢٢٣)

جاء في (زهر الآداب) لأبي إسحاق الحصري القيرواني : أن (كثيرُ عزة) كان قصيراً دميماً، ولما كان يعيره البعض بذلك .. كان يرد ويقول :

فإن أك معروق العظام فإنني إذا ما وزنت القوم بالقوم وازنُ

(٢٢٤)

روى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده، فتمده الأنهار بمائها ،وفجر الله له الأرض عيوناً فأجرته إلى ما أراد الله عز وجل. فإذا انتهت جريته أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.

(٢٢٥)

سئل الحسن البصري رحمه الله عن التواضع. فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا.

(٢٢٦)

قال الوليد لعبد الملك: يا أبت! ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.

(٢٢٧)

قيل لأحد الصالحين: أي الإخوان أحق ببقاء المودة ؟ قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا ينساك على البعد، إن دنوت منه أدناك، و إن بعدت عن راعاك، و إن استعنت به عضدك، مودة فعله أكثر من مودة قوله .

باب المواساة والعزاء

(٢٢٨)

ماتـت جاريـة لجبـار الفـرس «دارا» فحـزن حزنـا شـديدا .. فوعـده ديموقريطيـس بإحيائهـا بعـد دفنهـا , وقـال لـه أن الأمـر لا يتطلـب أكثـر مـن كتابـة ثلاثـة أسمـاء علـي القـبر فتعـود الجاريـة إلـي الحيـاة وتعـود الحيـاة إليهـا ...

فسأله «دارا» : وما تكون هذه الأسماء ؟

فأجابه الفيلسوف الساخر وهو يصطنع الجد :

أسماء ثلاثة لم يفقدوا أحدا من الأعزاء.

(٢٢٩)

قـال الفضيـل بـن عيـاض لرجـل فقـد ولـده : يـا هـذا أرأيـت لـو كنـت وابنـك في سـجن فأفـرج عـن ابنـك قبلـك أو مـا كنـت تفـرح؟ قـال : بلـى ، قـال : فـإن ابنـك قـد خـرج مـن سـجن الدنيـا قبلـك.. فسـرى عـن الرجـل ودعـا بطعـام ليـأكل.

(٢٣٠)

لمـا مـات عبد الملـك بـن عمـر بـن عبـد العزيـز دفنـه عمـر وسـوَّى عليـه (الـتراب) ثـم اسـتوى قائمـاً، فأحـاط بـه النـاس، فقـال: رحمـك اللّه يـا بـني ! قـد كنـت بـراً بأبيـك، واللّه مـا زلـت مـذ وهبـك اللّه لـي مسـروراً بـك، ولا واللّه مـا كنـت قـط أشـد منـك سـروراً، ولا أرجـي بحظـي مـن اللّه تعـالى فيـك منـذ وضعتـك في هـذا المنـزل الـذي صيـَّرك اللّه إليـه.

(٢٣١)

قال شاب لأمه وهو في مرض الموت : اصنعي بعد موتى طعاما وقولي للناس من لم يصب بمصيبة فليأت ليأكل.. ففعلت ن فلم يأت أحد فالكل أصيب بمصيبة ما .. فعلمت الأم أن ابنها يريد أن يصبرها على موته فقالت: فهمت يا ولدي ما أردت مني وإني احتسبك عند الله عز وجل.

(٢٣٢)

قال الغنوي : احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يجود بنفسه فقال:

عزاءً لا أبا لك إن شيئا تولى ليس يرجعه الحنين

(٢٣٣)

ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام فدخل عليه بهلول المجنون فقال ما هذا الحزن؟ أجزعت بخلق سوي وهبه رب العالمين ؟ أيسرك أن مكانها أبناء مثلي؟ فسرى عنه.

(٢٣٤)

مات ابن لسليمان بن علي فجزع عليه جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله فأنتم أعرف بسنته ولست ممن يُعلَّم من جَهلٍ ولا يُقوَّم من عِوج ولكني أعزيك

ببيت من شعر ، قال: هاته ، قال:

وهون ما ألقى من الوجد أنني أساكنه في داره اليوم أوغدا

قال: أعد، فأعاد، فقال: يا غلام ، الغداء.

(٢٣٥)

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان : والله ما علمتك إلا أنك كثير المعونة قليل المؤونة فجزاك الله خيرا. فقال صعصعة: وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك ، فإنك ما علمتك بالله عليم والله في عينك عظيم.

باب كشف الجهل

(٢٣٦)

قيل لابن سرين (إمام زمانه في علوم الدين بالبصرة): من أكل سبع رطبات على الريق سبحت في بطنه ! فقال : إن كان هذا فينبغي للوزينج (نوع من الحلوى الفارسية) , إذا أكل أن يصلي التراويح !

(٢٣٧)

في (العقد الفريد) لإبن عبد ربه :

قال رجل: أفطرت البارحة على رغيف، وزيتونة ونصف، أو زيتونة وثلث، أو زيتونة وربع؛ أوَ ما علم الله من زيتونة وأخرى، فقال له بعض من حضر المجلس: يا فتى؛ إنه بلغنا أنّ من الورع ما يبغضه الله؛ وأحسبه ورعك هذا!

(٢٣٨)

قال عمر الورّاق: رأيتُ كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام. فقلت له: ويحك! أما تستحي من الناس؟ فقال: أرأيت لو كنا في مكان فيه بقر، أكنت تحتشم أن تأكل والبقر يراك؟ فقلت: لا. فقال: فاصبر حتى أريكَ أن هؤلاء الناس بقر. ثم قام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: رُوي لنا من غير وجه أنه من بَلَغَ لسانُه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار! فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ليرى هل يبلغها أولاً. فلما تفرقوا قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

(٢٣٩)

دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال : لا أصلح . قال : كذبت . قال : فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح ، فإن كنت كاذبا فلا أصلح ، وإن كنت صادقا فقد أخبرتكم أني لا أصلح ، فحبسه.

(٢٤٠)

قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تمردت وساءت أخلاقها ولا يقومها إلا السوط.

فأجاب: كذبتم، فإنما يقومها العدل والحق .

(٢٤١)

أتي رجل نخاساً (تاجر الدواب) فقال: اشترِ لي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر؛ إن أشبعته شكر، وإن أجعته صبر، وإن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصدم بي السواري ، ولا يدخل بي تحت البواري ، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري هام.

...فقال له النخاس: أمهلني قليلاً، فإن مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حماراً اشتريته لك!

(٢٤٢)

كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن من العلوم شيئاً إلا ما شاء الله وكان مطبوعاً يتكلم

علـى مذهـب الصوفيـة فكتبـت إليـه رقعة: مـا يقـول السـادة الفقهـاء في رجـل مـات وخلـف كـذا وكـذا ،ففتحهـا فتأملهـا فقـرأ مـا تقـول السـادة الفقهـاء في رجـل مـات فلمـا رآهـا في المواريـث رماهـا مـن يـده وقـال: أنـا أتكلـم علـى مذاهـب قـوم إذا ماتـوا لم يخلفـوا شـيئاً، فعجـب الحاضـرون مـن حـدة خاطـره.

(٢٤٣)

حضـر شـريك القاضـي مجلسـاً فيـه وزيـر عباسـي قـد غـاص في الركايا وفي الطنافس . فحـدّث بحديـث عـن الرسول عليـه الصلاة والسـلام ، فقـال الوزيـر : (مَـا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ) ، فقال لـه شـريك ـ وكان سـريع البديهـة ـ : مـن أيـن تسـمع بهـذا وأنـت تـأكل الخبيـص وتجلـس علـى الطنافـس ، وتغنيـك الجـواري ؟!

(٢٤٤)

مـن المنقـول عـن بعـض الفقهـاء، أن رجـلا قـال لـه : إذا نزعـت ثيابـي ودخلـت النهـر أغتسـل ، أتوجـه إلى القبلـة أم إلى غيرهـا ؟ قـال : توجـه إلى ثيابـك الـتي نزعتهـا.

باب البخل

(٢٤٥)

جاء رجل إلى أشعب يقترض منه.. فقال :

أريد منك أن تقرضني ، وأن تؤخرني في السداد .

قال أشعب : أمران كثير عليّ ولا أقدر إلا على أمر واحد .

فقال الرجل: موافق.

قال أشعب : أؤخرك كما تريد .. ولا أقرضك أبدا .

(٢٤٦)

كتب أبو الأسود الدؤلي إلى رجل يستسلفه، فكتب إليه: المؤونة كثيرة، والفائدة قليلة، والمال مكذوب عليه. فكتب إليه أبو الأسود: إذا كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً.

(٢٤٧)

خاصمت امرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه فقالت: والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران .

(٢٤٨)

قال رجلٌ لبعضِ البخلاء : لِمَ لا تدعوني إلى طعامك ؟

فقال البخيل : لأنك جيد المضغ ، سريع البلع ، إذا أكلتَ لقمةً هيَّأتَ أخرى ! فقال الرجلَ : وهل تريدني أن اصلي ركعتين بين كل لقمتين !

باب التطفل

(٢٤٩)

جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة فقال له: من أنت؟ فقال الطفيلي: إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار في هذا نوع جفاء.

(٢٥٠)

ذات يوم جلس أشعب مع ابنه في إحدى الولائم وجلسا على مائدة واحدة، ولاحظ أشعب أن ابنه أكثر من شرب الماء، وهو يأكل ، فانتظر حتى خرجا، ونادى ولده، ولطمه على وجهه بقسوة قائلا له:

لو جعلت مكان الماء الذي شربته طعاما، لكان خيرا» لك!

ولكن الابن تحسس مكان اللطمة وقال لوالده:

إنك مخطيء يا والدي... لأن شرب الماء يوسع مكانا» للطعام!..

وهنا رفع (أشعب) يده إلى أعلى، ولطم ابنه لطمة أقسى من الأولى وهو يقول له:

لماذا لم تخبرني بذاك قبل الآن؟ لقد ضيعت عليّ الكثير أيها التعس!...

(٢٥١)

ألحَّ سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله، فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه للغير.. فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحقّ! فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون

الفقير على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة؟ فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

(٢٥٢)

جلس أشعب عند رجل ليتناول الطعام معه، ولكن الرجل لم يكن يريد ذلك.فقال إن الدجاجّ بارد ويجب أن يسخن؛ فقام وسخنه. وتركه فترة فقام وسخنه . وتركه فترة فبرد فقام مرة أخرى وسخّنه . وكرر هذا العمل عدة مرات لعل أشعب يمل ويترك البيت. فقال له أشعب : أرى دجاجك وكأنه آل فرعون « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا».

(٢٥٣)

مر أشعب ومعه ابنه بجنازة خلفها إمرأه تبكي الميت وتقول:

الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه , ولا غطاء , ولا ضيافة ولا خبز ولا ماء.

فقال ابنه: يا أبت, إلى بيتنا والله يذهبون.

(٢٥٤)

يحكى أن أشعب لم يأكل طعاما منذ ثلاثة أيام، فبينما هو سائر في الطريق إذ رأى جماعة من الناس يأكلون فسلم عليهم واخذ يأكل معهم فقالوا له «يا هذا أتعرف أحدا منا؟؟»

فقال أشعب: نعم أعرف هذا.. وأشار إلى الطعام

فأرادوا أن يوقفوا تهجمه فقالوا «أتعلم ما نأكل ؟؟

فقال :لا .. قالوا نأكل سُما.

فقــال أشــعب وهــو يكمــل طعامــه : لا يهــم ، الحيــاة بعدكــم حــرام.

باب الكرم

(٢٥٥)

حكـي أنـه لمـا مـات حـاتم الطائـي، حـاول أخـوه أن يتشـبه بـه، فقالـت لـه أمـه : يـا بـني أتريـد أن تحـذو حـذو أخيـك ، فإنـك لـن تبلـغ مـا بلغـه ، فـلا تتعـبن فيمـا لا تنالـه .. فقـال : ومـا يمنعـني وقـد كان شـقيقي ؟ فقالـت : إنـي لمـا ولدتـه كنـت كلمـا أرضعتـه أبـى أن يرضـع حتـى آتيـه بمـن يشـاركه فيرضـع الثـدي الآخـر ، وكنـت إذا أرضعتـك ودخـل طفـل بكيـت حتـى يخـرج .

(٢٥٦)

قعـد رجـل علـى بـاب داره فأتـاهُ سـائل فقـال لـه :اجلِـس ثـم صـاح بجاريـةٍ عنـده ، فقـال : ادفَعـي إلى هـذا السـائل صاعـاً مِـن حنطـة، فقالـت مـا بقـي عندنـا، قـال فأعطِـهِ دِرهمـاً، قالـت: مابَقـي عِندنـا دَراهِـم، قـال : فأطعميـه رغيفـاً، قالـت: مـا عِندنـا رَغيـف، فالتَفَـتَ إليـه وقـال لـه : إنصـرف يـا فاسِـق يـا فاجِـر! فقـال السـائلُ : سُـبحانَ الله تَحرِمُـني و تَشـتُمِني ؟ قـال : أحببـتُ أن تنصـرف وأنـت مأجـور.

(٢٥٧)

قـال بعـض العلمـاء كان لنـا صديـق مـن أهـل البصـرة وكان ظريفـاً أديبـاً فوعدنـا أن يدعونـا للغـداء في منزلـه، فـكان يمـر بنـا فكلمـا رأينـاه قلنـا: » متـى هـذا الوعـد إن كنتـم صادقـين« فيسـكت إلى أن اجتمـع مـا يريـده، فمـر بنـا فأعدنـا عليـه القـول، فقـال: «انطلقـوا إلى مـا كنتـم بـه تكذبـون».

باب سوءِ النوايا

(٢٥٨)

جاءت جارية إلى أشعب بدينار وقالت: هذا وديعة عندك ، فحفظه أشعب في ثني الفراش.

فجاءت الجارية بعد أيام وقالت لأشعب : أريد الدينار .

فقال لها: ارفعي فراشي وخذي ولده (وكان قد ترك لها إلى جنبه درهما) فأخذت الدرهم وتركت الدينار ،وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك.

ثم جاءت في الرابعة، فلما رآها أشعب أجهش في البكاء، فقالت: ما يبكيك ؟

قال لها: مات دينارك في النفاس.

فقالت وكيف يكون للدينار نفاس ؟

فقال لها: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصدقين النفاس!.

(٢٥٩)

قال ثعلب : نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمها فاستوت ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت فقال له رجل من أصحابه: أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ فقال: هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر.

(٢٦٠)

عمل بعض المرائين بين عينيه سجادة دلكها بنواة وثوم، وعصب الثوم بين عينيه ونام؛ فتحركت العصابة؛ فصارت في ناحية صدغه سجادة كبيرة. فقال له ابنه: ما هذا يا أبت؟ فقال: أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف.

(٢٦١)

من المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فامتدحه وكان يبغضه فقال له علي: إني ليس كما تقول وأنا فوق ما في نفسك.

(٢٦٢)

كان الشريف الرضي يكره المتنبي ويتحدث عنه بالسوء.. وفي أحد المجالس جاءت سيرة المتنبي فبدأ الشريف الرضي بذمه أمام الآخرين وكان أبو العلاء المعري موجود وهو معروف بتحيزه للمتنبي فقال: (لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته اللامية لكفاه فخرا)

فغضب الشريف الرضي غضبا شديدا، وطلب خروج المعري من مجلسه ثم قال للبقية: أتدرون ماذا أراد الأعمى بذكر القصيدة اللامية فإن للمتنبي قصائد أجود منها لم يذكرها؟

لقد أراد بيتا واحدا في القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

(٢٦٣)

دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك وعلى الوليد عمامة وشي، فقال هشام: بكم أخذتها؟ قال : بألف درهم، فقال : هذا كثير ! قال: إنها لأكرم أطرافي، وقد اشتريت أنت جارية بعشرة آلاف لأخسّ أطرافك.

باب عدم إصدار الأحكام على العباد وإساءة الظن بالآخرين

(٢٦٤)

كان لأبي حنيفة جار سكير فاسد نصحه حتى تعب من كثر نصحه فتركه.. وذات يوم طرق على الباب زوجة السكير تدعو أبا حنيفة للصلاة على زوجها السكير فرفض .. وفي منامه جاءه السكير وهو يتمشى في بساتين الجنة ويقول: الحمد لله الذي لم يجعل مفاتيح الجنة بيد أبي حنيفة.. فلما أفاق الإمام ذهب وسأل زوجته عن حاله، فقالت: هو ما تعرف عنه غير أنه كان في كل يوم جمعة يطعم أيتام الحي ويمسح على رؤوسهم ويبكي ويقول أدعو لعمكم فلعلها كانت دعوة أحدهم فندم أبو حنيفة على ما فعل.

(٢٦٥)

كان سيدنا عمر بن الخطاب يقول : «لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرا ، وأنت تجد لها في الخير محملا» .

(٢٦٦)

روي عن الإمام الشافعي أنه حين مرض أتاه بعض إخوانه يعوده، فقال له أحدهم: قوى الله ضعفك، قال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني! قال: والله ما أردت إلا الخير. فقال الشافعي: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

(٢٦٧)

كان أبو حنيفة وقورًا حليما، وكان يقول: (اللهم من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له) ولقد سبه أحد الناس

بقوله: يا مبتدع، يا زنديق، فرد عليه بقوله: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ذلك، وأني ما عدلت به (أي ما أشركت به أحدًا) منذ عرفته، ولا أرجو إلا عفوه، ولا أخاف إلا عقابه.

(٢٦٨)

سئل أحد الحكماء: لماذا أحسنت إلى من أساء إليك؟ فقال: لأنني بالإحسان، أجعل حياتي أفضل، ويومي أجمل، ومبادئي أقوى، وروحي أنقى ونفسي أصفى.

(٢٦٩)

قال ابن سيرين:

«إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرا لا أعرفه».

باب النهم

(٢٧٠)

قيل لأعرابي : ما اسم المرق عندكم ؟ قال : السخين . فقيل له : فإذا بَرَد، فماذا تسمونه ؟ فقال الأعرابي : لا ندعه يبرد .

(٢٧١)

لَزِمَ أعرابيٌ سُفيانَ بنُ عُيَينَةَ، المُحَدِّثُ المعروف، مُدَّةً يَسمَعُ منه الحديثَ فلَمَا أنْ جاء لِيسافر قال له سُفيان: يا أعرابي، ما أعجبك مِن حَديثِنا ؟ فقال الأعرابي: ثلاثةُ أحاديث، حديثُ عائشةَ رضي الله عَنها عَنْ النبيِّ صلى الله عليهِ و سلَّمَ « أنَّهُ كانَ يُحِبُّ الحَلوى والعَسل »، و حديثِهِ صلى الله عليه و سلم « إذا وُضِعَ العَشاءُ و حَضَرت الصلاةُ فابدأوا بالعَشاء» ، و حديثه صلى الله عليه و سلم « لَيسَ مِن البِرِّ الصيام في السفر».

(٢٧٢)

أكل أعرابي عند أمير وكان شرهاً..

فقال الأمير : مالك تأكل الخروف كأن أمه نطحتك ؟

فرد الإعرابي : ومالك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك؟!

(٢٧٣)

قال أبو العير: قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى – ثعلب (من أئمة النحو في عصره): الظبي معرفة أو نكرة؟ فقلت: إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة!.. فقال ثعلب: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.

(٢٧٤)

جلس أعمى وبصير معا يأكلان تمرا في ليلة مظلمة فقال الأعمى : أنا لا أرى ولكن لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين وعندما انتهى التمر صار نوى العمى أكثر من نوى البصير فقال البصير : كيف يكون نواك أكثر من نواي ؟ فقال الأعمى لأني آكل ثلاثا ! فقال البصير أما قلت : لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين ؟ قال : بلى ولكني لم اقل ثلاثا.

باب الشبق

(٢٧٥)

قال المفضل دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت إليه فقال: يا مفضل قل في هذا الورد شيئاً تشبهها به فأنشأت أقول:

كأنه خد مرموق يقلبه فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدي حين يدفعني كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال: يا مفضل قم فاخرج فإن هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور.

(٢٧٦)

حكي أن امرأة كان لها عشيق فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك فوعدته أن تفعل ذلك فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة فقالت لزوجها، أشتهي أصعد هذه النخلة فاجتني من رطبها بيدي، فقال، افعلي، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت :يا فاعل من هذه المرأة التي معك ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد ،فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده، ثم قال لها: اقعدي حتى أصعد أنا فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها فوطئها فأطلع الزوج فرأى ذلك فقال لها جعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما

رميتني به فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت.

(٢٧٧)

قالت امرأة من أهل الكوفة : دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في الحجرة ، فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت إلي وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها: ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت : إن الخيل العتاق لا تشرب إلا بالصفير.

(٢٧٨)

كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها ، مؤاتية لبعلها فكتب إليه : قد أصبتها لولا عظم ثديها .. فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها فتدفيء الضجيع وتروي الرضيع .

(٢٧٩)

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم، قال هو منا في الرجال وهو منكم في النساء يا بني أميه !

(٢٨٠)

قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتخذ جارية للمتعة، فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية؛ ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية.

(٢٨١)

أتـى رجـل إلى علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله تعـالى عنـه وقـال: إن لـي امـرأة كلمـا غشـيتها تقـول قتلتـني .. فقـال : اقتلهـا بهـذه القتلـة وعلـي إثمهـا .

باب وصف الرجال

(٢٨٢)

قال عبد الملكِ بن مروان لابنِ رأسِ جالوت: ما عندكم من الفِراسة في الصبيان؟

قال: نراقبهم ،فإن سَمِعنا منهم مَن يقول أثناء لعبهم: مَن يكون مَعي؟ رأيناهُ ذا همة، وإن سَمِعناه يقول: مَعَ مَن أكون؟ عَرفناهُ مفتقرا إلى الهمة.

(٢٨٣)

وفد الأحنف بن قيس على معاوية فقال له: أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين والمخذل عن عائشة أم المؤمنين! قال: لا تؤنبنا بما مضى منا، ولا ترد الأمور على أدبارها، فإن القلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا، فلما خرج قالت أخت معاوية: من هذا الذي يتهدد؟ قال: هذا الذي إن غضب؛ غضب لغضبه مائة ألف من تميم، لا يدرون فيم غضب.

(٢٨٤)

قال الأحنف بن قيس : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي طعامًا لم يدع إليه، والمتآمر على رب البيت في بيته، وطالب الفضل من أعدائه، وراجي الخير من اللئام، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، والجالس في المجلس الذي لا يستأهله، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه، والمتقدم بالدالة على السلطان .

(٢٨٥)

قالت أم سفيان الثوري لسفيان : «يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك من مغزلي. يا بني، إذا كتبت عشرة أحاديث –وفي رواية: عشرة أحرف– فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم تَرَ ذلك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك».

(٢٨٦)

عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال: يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك ؟ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني عنه ، فقال: أحسنهما عقلا، قلت يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال : يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة.

(٢٨٧)

روي أن لقمان عليه السلام قال لابنه: يا بني اعقل عن الله عز وجل فإن أعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملاً وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده يا بني ما عبد الله بشيء أفضل من العقل.

(٢٨٨)

كان سيدنا عمر بن الخطاب يقول : إني أحب أن يكون الرجل في أهله كالصبي فإذا احتيج إليه كان رجلا.

(٢٨٩)

قيل لحكيم : أي الأشياء خير للمرء؟

قال : عقل يعيش به

قيل : فإن لم يكن

قال : فإخوان يسترون عليه

قيل : فإن لم يكن

قال : فمال يتحبب به إلى الناس

قيل : فإن لم يكن

قال : فأدب يتحلى به

قيل : فإن لم يكن

قال : فصمت يسلم به

قيل : فإن لم يكن

قال : فموت يريح منه العباد والبلاد.

(٢٩٠)

قيل أنه ذهب الحسن يخطب من قبيلة همدان، فلما صعد أبوه الإمام علي المنبر، قال: أيها المسلمون! بينكم قبيلة همدان، وأنا أحبهم، وابني الحسن ذهب ليتزوج منهم، وهو مزواج مطلاق فإن شئتم فزوجوه، وإن شئتم فالأمر بأيديكم .

فقال زعيم القبيلة: يا أمير المؤمنين! كيف نرفض أن تضع ابنتنا شفتيها مكاناً كانت توضع فيه شفتا رسول الله ؟ فسر الإمام علي من الإجابة وقال: لو كنت بواباً على باب جنةٍ لقلت لهمدان ادخلوا بسلام.

(٢٩١)

قيل لبعض الأعراب - وقد أسلم لما عرف دعوته صلى الله عليه وسلم -: عن أي شيء أسلمت؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئاً فقال العقل: ليته حرَّمه، ولا حرَّم شيئا فقال العقل: ليته أباحه.

(٢٩٢)

قال المغيرة بن شعبة: ما رأيت أحداً هو أحزم من عمر كان والله له فضل يمنعه أن يَخدع وعقل يمنعه أن يُخدع.

(٢٩٣)

قال رجاء بن حيوة كنت مع عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة فأرسلني لأشتري له ثوبا، فاشتريته له بخمسمائة درهم، فلما نظر فيه قال : هو جيد لولا أنه رخيص الثمن !

فلما صار خليفة للمسلمين، بعثني لأشتري له ثوباً، فاشتريته له بخمسة دراهم ! فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالي الثمن !

(٢٩٤)

رأى خالد بن صفوان الفرزدق فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

فقال له: ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

(٢٩٥)

قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكاناً وأوسعهم علماً: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القَدْح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحُرَم.

(٢٩٦)

قال عيسى عليه السلام وهو يحكي منة الله عليه:

«وجعلني مباركاً أينما كنت»

وهي غاية السعادة..

مباركاً مع الفقير

والصديق والزوجة

والولد والجار.

(٢٩٧)

سمع أعرابي جريراً ينشد:

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني — وكـاد يقتلني يوماً بنعمان
وكاد يقتلني يوماً بذي حسب — وكاد يقتلني يوماً بسلمان

فقال الأعرابي: هذا الرجل أفلت من الموت أربع مرات، فلا يموت هذا أبداً!

(٢٩٨)

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السّختياني، فقيل له: يا أعرابي، لعلك قدريّ؟

قال: وما القدري؟ فذكر له محاسن قولهم؛ قال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم؛ فقال: لست بذاك. قال: فلعلك مثبت؟ قال: وما المثبت؟ فذكر محاسنهم؛ فقال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم؛ فقال: لست بذاك.. قال أيوب: هكذا يفعل العاقل؛ يأخذ من كل شيء أحسنه.

(٢٩٩)

قال أبو هلال العسكري في الشكوى من الدهر والناس:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري — دليـل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذل كرامهم — ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتي — هجاءً قبيحاً ما عليه مزيد

(٣٠٠)

حكي أن صعصعة بن صوحان وكان من حكماء العرب ومفكريها ،أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فسأله معاوية قائلا يا بن صوحان صف لي الناس فقال : خلق الناس أطوارا طائفة للسيادة والولاية وطائفة للفقه والسنة وطائفة للبأس والنجدة وطائفة رجرجة بين ذلك يغلون السعر ويكدرون الماء إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

(٣٠١)

كان أبو مسلم الخولاني يقوم الليل فان أدركه التعب ، ضرب رجليه قائلا : أنتما أحق بالضرب من دابتي ! أيظن أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يفوزوا به دوننا ؟!

باب حسن البيان

(٣٠٢)

قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك فقام رجل منهم فقال: يا أمير المؤمنين ما أتيناك رغبة ولا رهبة، قال: فلم جئتم؟، قال: نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت فأما تحبيبك إلينا الحياة فلما انتشر من عدلك وأما تهوينك علينا الموت فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

(٣٠٣)

دخل (حاجب بن زرارة) على كسرى (أنوشروان)، فأستأذن عليه ، فقال للحاجب : سله من هو ؟ فقال : رجل من العرب . فلما مثل بين يديه ، قال له أنوشروان : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : أليس زعمتَ أنك أحدهم ؟ فقال: إني كنت كذلك، ولكن لما أكرمني الملك بمكالمته صرت سيدهم. فأمر بحشو فمه دراً .

(٣٠٤)

مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بصبية يلعبون. فلما رأوه فروا جميعاً، إلا غلاماً صغيراً هو عبد الله بن الزبير بقي مكانه لم يبرحه. فأقبل عليه عمر وسأله: يا غلام، لم لَم تفر كما فرَّ أقرانك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أرتكب ذَنباً فأخافك،

وليست الطريق ضيقة فأوسعها لك. فأعجب عمر من رده ومسح على رأسه ومر في طريقه .

(٣٠٥)

شكا أصحاب هشام بن عبد الملك إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم ،فدخل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين لو أن منادياً نادى يا مفلس، ما بقي أحد من أصحابك إلا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

باب اليقين

(٣٠٦)

سئل الإمام الحسين بن علي فقيل له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فقال: أصبحت ولي رب فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبني وإن شاء عفا عني، فأي فقير أفقر مني؟

(٣٠٧)

جاء رجل منكسر مِن ذنوبه إلى شيخ يسأله :

هل يقبلني ربي على عظم الجرم ؟

فقال الشيخ: ويحك ! إنه يدعو المدبرين ،أفلا يتوب على المقبلين ؟!

(٣٠٨)

سأل أعرابي ابن عباس: من يحاسب الناسَ يوم القيامة؟ قال: الله .. قال الأعرابي: نجَونا ورب الكعبة.

قال: كيف؟

قال: إن الكريم إذا قَدِر غفر.

(٣٠٩)

قيل لأعرابي إنك تموت ،، قال : ثم إلى أين ؟ قالوا: إلى الله قال : ما أكره أن اذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه ؟

(٣١٠)

كان أبـو عتبـة الخـواص أحـد مشـاهير البكائـين الزهـاد ، وكان يأخـذ بلحيتـه ويبكـي يخاطـب ربـه قائـلا « قـد كـبرت فاعتقـني ».
وكان يسـير في الشـارع وقـد وضـع علـي صرتـه خرقـه وعلـي رقبتـه خرقـه ويهتـف باكيـا: واشـوقاه إلـي مـن يرانـي ولا أراه.

(٣١١)

قـال رجـل لجعفـر الصـادق : مـا الدليـل علـى الله ! ولا تذكـر لـي العـالم و العـرض و الجوهـر ؟؟

فقال له : هل ركبت البحر ؟

قال : نعم

قال : هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق ؟

قال: نعم

قال : فهل انقطع رجاؤك من المركب و الملاحين ؟

قال : نعم

قال : فهل أحسست نفسك أن ثمّ من ينجيك ؟

قال : نعم

قال فإن ذاك هو الله .

(٣١٢)

سأل أحدهم رجلا مؤمنا، فقال:

إن كان ربك يرمينا بسهام القدر فتصيبنا،

فكيف لي النجاة ؟!

قال: «كن بجوار الرامي تنجو».

(٣١٣)

قيل لأحد الصالحين :

كيف تصبر على البقاء وحدك أحيانا!

فقال: أنا جليس ربي .. إذا شئت أن يكلمني قرأت القرآن وإذا شئت أن أكلمه صليت ركعتين .

(٣١٤)

قال الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجهاً ولها زوج قبيح، فقلت لها: يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا! لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي! أفلا أرضى بما رضي الله به؟!

(٣١٥)

من المنقول عن عيسى عليه السلام أن إبليس جاء إليه فقال له: ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال: بلى،

قـال: فـارم بنفسـك مـن هـذا الجبـل فإنـه إن قـدر لـك السـلامة تسـلم.. فقـال لـه: يـا معلـون إن للّه عـز وجـل أن يختـبر عبـاده وليـس للعبـد أن يختـبر ربـه عـز وجـل.

من حكايات بهلول المجنون

(٣١٦)

مـر الخليفـة هـارون الرشـيد علـى بهلـول يومـاً وهـو جالـس علـى إحـدى المقابـر فقـال لـه هـارون معنفـاً : يـا بهلـول يـا مجنـون متـى تعقـل ؟

فركـض بهلـول وصعـد إلى أعلـى شـجره ثـم نـادى علـى هـارون بأعلـى صوتـه يـا هـارون يـا مجنـون متـى تعقـل ؟

فأتـى هـارون تحـت الشـجره وهـو علـى صهـوة حصانـه وقـال لـه: أنـا المجنـون أم أنـت الـذي يجلـس علـى المقابـر !

فقال له بهلول : بل أنا عاقل !

قال هارون : وكيف ذلك ؟

قـال بهلـول : لأنـي عرفـت أن هـذا زائـل و أشـار إلى قصـر هارون و أن هـذا بـاق وأشـار إلى القـبر ، فعمـرت هـذا قبـل هـذا ، و أمـا أنـت فإنـك قـد عمـرت هـذا (يقصـد قصـره) وخربـت هـذا (يعـني القـبر) فتكـره أن تنتقـل مـن العمـران إلى الخـراب مـع أنـك تعلـم أنـه مصـيرك لا محـال ، وأردف قائـلاً :فقـل لـي أينـا المجنـون ؟

فرجـف قلـب هـارون الرشـيد مـن كلمـات بهلـول ، و بكـى حتـى بلـل لحيتـه و هـو يقـول : والله إنـك لصـادق !

ثم قال هارون : زدني يا بهلول .

فقال بهلول : يكفيك كتاب الله فالزمه

قال هارون : ألك حاجة فأقضيها ؟

قال : بهلول : نعم ثلاث حاجات إن قضيتها شكرتك !

قال : فاطلب .

قال : أن تزيد فى عمري.

قال : لا أقدر .

قال : أن تحميني من ملك الموت .

قال: لا أقدر .

قال : أن تدخلني الجنة وتبعدني عن النار.

قال : لا أقدر .

قال : فاعلم أنت مملوك ولست ملك ولا حاجة لي عندك .

(٣١٧)

سمع بهلول رجلا يقول : أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة فقال له : يا هذا اقلب الكلام وضع يدك على من شئت.

(٣١٨)

حمل الصبيان يوماً على بهلول فدخل داراً فدعا الرجل بالطعام فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب».

(٣١٩)

فـر بهلـول ذات مـرة مـن مطـاردات الصبيـان فالتجـأ إلى دار فوجـد بابهـا مفتوحـاً فدخلهـا وصاحـب الـدار قائـم لـه ضفيرتـان فصـاح: مـا أدخلـك داري؟ فقـال: «يـا ذا القرنـين أن يأجـوج ومأجـوج مفسـدون في الأرض».

(٣٢٠)

قال بهلول لرجل من الأغنياء كيف طلبك للدنيا ؟ فقال :

شـديد . قـال: فهـل أدركـت منهـا مـا تريـد؟ قـال الغـني: لا. قـال بهلـول: هـذه الـتي صرفـت عمـرك في طلبهـا لم تحصـل منهـا مـا تريـد فكيـف بالـتي لم تطلبهـا ؟

(٣٢١)

سُـئل بهلـول عـن رجـل مـات وخلـف أبنـاء وبنتـاً وزوجـة ولم يـترك مـن المـال شـيئاً فقـال: للابـن اليتيـم وللبنـت الثـكل وللزوجـة خـراب البيـت ومـا بقـي فللعصبـة.

أبو العيناء ..
(شيخ حسني) التراث العربي

(٣٢٢)

كان أبـو العينـاء الشـاعر السـاخر في مبتـدأ حياتـه أحـولا واسـتمر كذلـك حتـى الأربعـين مـن عمـره ، وكان يسـتهين ويسـخر مـن احـولال عينيـه ، بـل ويتحـدث عـن مميـزات هـذا الحـول وكيـف أنجـاه مـن المـآزق مـع حبيبتـه الـتي تعلـق بهـا :

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها **على حولي يغني عن النظر الشرر**

نظرت إليها والرقيب يظنني **نظرت إليه فاسترحت من العذر !**

(٣٢٣)

بعـد الأربعـين أصيـب أبـو العينـاء بالعمـى ، لكنـه لم ييـأس أو يستسـلم ، بـل ظـل ينظـرإلى نصـف الكـوب المـلآن راضيـا ومفاخـرا بموهبتـه الشـعرية والعقليـة ، وعـبر عـن ذلـك قائـلا :

إن يأخذ الله من عينيَّ نورَهما

ففي لساني وسمعي منهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي خَطَلِ

وفى فمي صارمٌ كالسيف مأثورُ

(٣٢٤)

عرضـت علـى المتـوكل جاريـة شـاعرة فأمـر أبـا العينـاء الشـاعر أن يختبرهـا وكان ضريـرا.

فقال للجارية : أتقولين الشعر كما يقولون؟

فقالت : نعم أقوله وأجيده .

قال أبو العيناء : إليك شطراً واحداً فأكمليه : الحمد للّه كثيراً ..

فقالت الجارية : حيث أنشأك ضريراَ !

(٣٢٥)

تأخر أبو العيناء ذات مرة عن الحضور إلى مجلس الوزير إسماعيل بن بلبل، فسأله عن السبب؟، فقال: (سُرق حماري)، فقال له الوزير: (كيف سرق حمارك يا أبا العيناء؟

فقال: لم أكن مع اللص، فأخبرك!

(٣٢٦)

قيل لأبي العيناء: بقي من يُلقى؟

قال: نعم في البئر.

(٣٢٧)

قال له المتوكل: (كيف شربك للخمر؟)، فقال: (أعجز عن قليله، وأفتضح عند كثيره)، فقال له: (دع هذا عنك، ونادمنا)، فقال: (أنا رجل مكفوف، وكل من في مجلسك يخدمك، وأنا محتاجٌ أن أُخدم، ولستُ آمنُ من أن تنظر إلّي بعين راض، وقلبك عليّ غضبان أو بعين غضبان، وقلبك راضٍ، ومتى لم أُميِّز بين هذين هلكتُ، فأختار العافية على التعرض للبلاء .

(٣٢٨)

اشـتكى أبـو العينـاء ابـن المدبـر صاحـب الخـراج لأنـه يؤخـر راتبـه، فقـال لـه عبيـد الله بـن سـيلمان :أنـت اخترتـه ، يعنـى إنـه الـذي رشـحه للمنصـب ،فأسـرع أبـو العينـاء يقـول : ومـا علـيّ في ذلـك ؟ فقـد اختـار موسـى مـن قومـه سـبعين رجـلا فمـا كان منهـم رجـل رشـيد فأخذتهـم الرجفـة ، واختـار النـبي (ص) ابـن أبـى سـرح كاتبـا فلحـق بالكفـار مرتـدا ، واختـار (علـى) أبـا موسـى الأشـعري حكمـا في التحكيـم فحكـم عليـه!

(٣٢٩)

ولقيـه بعـض أصحابه في السـحر فجعل صاحبـه يتعجب من بكوره فقـال لـه أبـو العينـاء: أراك تشـركني في الفعـل وتفردنـى بالعجـب!

(٣٣٠)

دخـل أبـو العينـاء بلـدة، والصبيـة فيهـا يلعبـون، فرمـوه بالحجـارة، فوقـع حجـر علـى رأسـه فشجه، فذهـب أبـو العينـاء لأمـير البلـد يشـكوهم لـه، فقـال لـه الأمـير: (في أي يـوم دخلـت؟)، فقـال أبـو العينـاء: (في يـوم نحـس مسـتمر، وفي سـاعة العسـرة، ونزلـت بـواد غـير ذي زرع)، فضحـك الأمـير، وأنعـم عليـه بعطيـة.

(٣٣١)

قـال رجـل لأبـي العينـاء: (أتأمـر بشـيئاً؟)، فقـال: (نعـم بتقـوى الله، وحـذف الألـف مـن شـيئاً ! !).

(٣٣٢)

ويـروى أنـه دخـل يومـاً علـى الخليفة المتـوكل فى قصـره المعروف بالجعفـري.. فقـال لـه المتـوكل: مـاذا تقـول فـى دارنـا هـذه؟.

فقـال أبـو العينـاء: إن النـاس بنـوا الـدور فـى الدنيـا، وأنـت بنيـت الدنيـا فـى دارك، فاستحسـن الخليفـة إجابتـه.

(٣٣٣)

عاصر أبـو العينـاء الجاحـظ وبينهمـا سـجال ومواقـف كثـيرة لا تخلـو مـن الألمعيـة والـذكاء و الظـرف والفكاهـة.

منهـا علـى سـبيل المثـال مـا رواه الخطيـب البغـدادي مـن أن صديقـا قـد جـاء إلى أبـى العينـاء يطلـب واسـطة إلى والـي البصـرة ،فقـال أبـو العينـاء للجاحـظ: (طلـب مـني صديـق لـي أن أسـألك أن تكتـب لـه خطـاب توصيـة إلى والـي البصـرة)، فكتـب لـه الجاحـظ الخطـاب، وختمـه ثـم أرسـله إلى أبـي العينـاء، فلمـا تسـلمه أبـو العينـاء أحـبّ أن يـرى مـا كتبـه الجاحـظ، فقـال لرجـل عنـده: (افتحـْه واقـرأه علـيّ) ، فـإذا فيـه: (هـذا كتابـي إليـك.. طلبـه مني مـن لا أخافـه لمـن لا أعرفـه، فافعـل في أمـره مـا تـراه، والسـلام)، فغضـب أبـو العينـاء، ونهـض إلى الجاحظ، فقـال: (أعرّفـك باعتنائي بهـذا الصديـق، فتكتـب لـه مثـل هـذا؟!)، فقـال الجاحـظ: (لا تنكر ذلـك، فإنهـا أمـارة بيـني وبـين والـي البصـرة إذا عُنيـت برجـل)، فقـال أبـو العينـاء: (بـل أنـت ولـد زنـا)، قـال: أتشـتمني؟، فقـال أبـو العينـاء: (لا. إنهـا أمـارة لـي عنـد الثنـاء علـى إنسـان) .

(٣٣٤)

وداعبه المتوكل ذات مرة فقال: إن سعيد بن عبد الملك يسخر منك. فقال أبو العيناء: «إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون».

(٣٣٥)

وقدم صديق عليه ذات مرة.. فدعاه إلى الطعام.. وجعل الصديق يروى ويكذب.. فالتفت إليه أبو العيناء وقال: نحن كما قال الله تعالي: (سماعون للكذب أكالون للسحت)!.

(٣٣٦)

سئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم وعن عماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف.

ومن المعروف أن قيمة الدرهم أقل من قيمة الدينار بكثير.

متفرقات

(٣٣٧)

سئل الإمام أحمد عن مسألة ، فأفتى فيها ، . فقيل له : هذا لا يقول به عبد الله بن المبارك.. فقال : إن ابن المبارك لم ينزل من السماء .

(٣٣٨)

جاء رجل إلى رجل من الوجوه فقال : أنا جارك وقد مات أخي فلان فمر لي بكفن ، قال : لا والله ما عندي اليوم شيء ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون ما تحب.. قال: أصلحك الله ، فنملّحه إلى أن يتيسر عندكم شيء؟!

(٣٣٩)

كان الجاحظ دميم الصورة، قبيح الوجه ناتئ العينين.. يحكى أنه قرع عليه ذات يوم الباب، فخرج غلامه، فسئل عنه، فقال: هو في البيت يكذب على ربه.فقيل له: و كيف ذلك؟ قال: نظر في المرآة وجهه فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي.

(٣٤٠)

قال أحد الصالحين:

إذا دعتك نفسك إلى معصية فحاورها حواراً لطيفاً بهذه الآية :

«قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنّةُ الْخُلْدِ الّتِي وُعِدَ الْمُتّقُونَ»

(٣٤١)

قـال أبـو الحسـن : شـهد مجنـون علـى امـرأة ورجـل بالزنـا ، فقـال الحاكـم : تشـهد انـك رأيتـه يدخلـه ويخرجـه ؟ قـال : والله لـو كنـت جلـدة إستها لمـا شـهدت بهـذا .

(٣٤٢)

قـال المدائـني: قـال معاويـة إذا لم يكـن الهاشمـي جـوادا لم يشـبه قومـه وإذا لم يكـن المخزومـي تياهـا لم يشـبه قومـه وإذا لم يكـن الأمـوي حليمـا لم يشبه قومـه .. فبلـغ قولـه الحسـن بـن علـي رضـي الله تعـالى عنهمـا فقـال : مـا أحسـن مـا نظـر لنفسـه أراد ان تجـود بنـو هاشـم بأموالهـا فتفتقـر إلى مـا في يديـه وتزهـو بنـو مخـزوم علـى النـاس فتُبغـض وتُشـنأ ، وتحلـم بنـو أميـة فتُحـب.

(٣٤٣)

ذكـر الزنـا عنـد يحيـى بـن خالـد بـن برمـك فقـال: الزنـا يجمـع الخصـال كلهـا مـن الشـر. لا تجـد زانيـا معـه ورع، ولا وفـاءً بعهـد، ولا محافظـةً علـى صديـق؛ الغـدر شـعبة مـن شـعبه، والخيانـة فـن مـن فنونـه، وقلـة المـروءة عيـب مـن عيوبـه، وسـفك الـدم الحـرام جنايـة مـن جناياتـه.

(٣٤٤)

طلّـق رجـلٌ امرأتـه، فقالـت لـه: أبعـد صحبـةً خمسـين سـنةً قـال: مـا لـك عندنـا ذنـبٌ غـيره ؟

(٣٤٥)

وقال محمّد بن يحيى المدني: سمعت عطاء يقول: كان الرجل يحبّ الفتاة فيطوف بدارها حولاً كاملاً يفرح إن رأى مرآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار. فاليوم يشير إليها، وتشير إليه، فإذاً التقيا لم يشكوا حبّاً، ولم ينشدا شعراً. وقام إليها كأنّه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه.

(٣٤٦)

كان الحجاج بن يوسف الثقفي يستحم بالخليج فأشرف على الغرق فأنقذه أحد المسلمين و عندما حمله إلى البر قال له الحجاج : أطلب ما تشاء فطلبك مجاب

فقال الرجل : ومن أنت حتى تجيب لي أي طلب ؟

قال: أنا الحجاج الثقفي

قال له : طلبي الوحيد أنني سألتك بالله أن لا تخبر أحداً أنني أنقذتك !

(٣٤٧)

ادعى رجل النبوة في أيام المأمون، فأحضره المأمون وقال له: ما دليل نبوتك؟ قال: أن أعلم ما انعقد عليه ضميرك. فقال: ما هو؟ قال: في نفسك أصلحك الله أني كاذب؛ فضحك منه وتركه .

(٣٤٨)

دخل سالم بن عبد الله، مع هشام بن عبد الملك البيت، فقال له هشام: سلني حاجتك. فقال: أكره أن أسأل في بيت الله غير الله.

(٣٤٩)

سأل عمر بن الخطاب رجلا عن شيء فقال: الله أعلم.

فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أدري.

(٣٥٠)

سأل بائع عسل بائع خل:

مابال الناس يشترون منك ويتركونني؟

قال: أنا أبيع الخل بلسان من عسل، وأنت تبيع العسل بلسان من خل..

(٣٥١)

عن أبي يوسف القاضي قال: ثلاث: صدق باثنتين ولا تصدق بواحدة إن قيل لك إن رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدق وإن قيل لك إن رجلاً فقيراً خرج إلى بلد فاستفاد مالاً فصدق وإن قيل لك إن أحمق خرج إلى بلد فاستفاد عقلاً فلا تصدق.

(٣٥٢)

عن الأوزاعي إنه قال : بلغني أنه قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا روح الله إنك تحيي الموتى قال: نعم بإذن الله.قيل وتبرىء الأكمة قال: نعم بإذن الله. قيل: فما دواء الحمق قال: هذا الذي أعياني.

(٣٥٣)

دخل رجل من بني مخزوم – وكان زبيريا– على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك أليس قد ردك الله على عقبيك؟ قال الرجل : أو مَن رُد إليك فقد رُد على عقبيه ؟! فاستحيا عبد الملك وعلم انه قد أساء.

(٣٥٤)

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز، فسأله: من أنت ؟ فقال الأعرابي: رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة والله يسألك عن مقامي غدا، فبكى عمر.

(٣٥٥)

سئل عمر بن عبد العزيز عن أسباب زهده عما كان يعيش فيه من ثراء ورفاهية.. فقال :إن لي نفساً تواقة، وما حققت شيئاً إلا تاقت لما هو أعلى منه، تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها، والآن يا رجاء تاقت نفسي إلى الجنة فأرجو أن أكون من أهلها.

الفهرس